الجزء الرابع — المجلد الثاني والثلاثون

مجلة المجمع العلمي العربي

بدمشق

١ تشرين الأول سنة ١٩٥٧ م — ٦ ربيع الأول سنة ١٣٧٧ ﻫ

عبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي

موجز ترجمته ، منزلته في الشعر ، البقية الباقية من شعره وأمثلة منه

قصيدته اللامية المنسوبة الى السموأل ، قصيدته العينية

— ٢ —

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قصيدته العينية

هذه القصيدة مرثية رثى بها الشاعر أخاه سعيد بن عبد الرحيم ، وهي من القصائد الطوال يبلغ عدد أبياتها نحواً من مائة بيت ، تدل على طول نفس الشاعر ، ومقدرته ، وجزالة أسلوبه ، وحسن تصرفه في تصوير حزنه ، وذكر محاسن أخيه ، ومبلغ الفجيعة بفقده ؛ فقد مثّل لكل ذلك صوراً كاملةً ومشاهد ماثلة ، يمكن أن ينتزع الرسّام منها لوحات تنبض بالحياة . وهو على تفننه بها لم يفارق عمود الشعر العربي ، بل جلاها مثالاً للأسلوب العربي الخالص ؛ ومزيته بها : سعة الخيال ، وتنويع الصور وتسلسلها ، في سبيل الإفصاح عما يتراءى له ويجيش في صدره .

ولقد ذكرنا في القسم الأول [1] من هذا البحث أننا ظفرنا بهذه القصيدة كاملة برواية الرياشي عن الأصمعي في مخطوطة جمهرة الإسلام [2] ذات النثر والنظام لأمين الدين [3] أبي الغنائم مسلم بن محمود بن نعمة بن رسلان الشيزري ، ولا نعرف كتاباً غيرها اشتمل على هذه القصيدة بتمامها ، على أن ابن المعتز أورد منها في كتابه طبقات الشعراء أربعة عشر بيتاً سنشير إليها .

قال ابن المعتز في طبقات الشعراء ص ٢٧٧ : «وللحارثي قصيدة يرثي فيها أخاه سعيد بن عبد الرحيم ليست بدون قصيدة متمم [4] التي يرثي بها أخاه مالكاً وهي على روي تلك» .

وورد في جمهرة الإسلام ما نصه :

قال الرياشي : سألت الأصمعي عن محمد بن مناذر وجودة شعره ، فقال لي : أين أنت والحارثي ؟ قلت وهو أشعر منه ؟ قال إي والله ومن جرير والفرزدق والأخطل . قلت ما علمت أنه كذلك ؟ فقال ويحك ما سمعت مرثيته في أخيه سعيد ؟ ثم أنشدني :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

---

(١) مجلة المجمع العلمي العربي م ٣٢ ص ٤٠١ .

(٢) في خزانة المجمع العلمي العربي نسخة مصورة من هذا الكتاب .

(٣) كان أبو الغنائم أديباً شاعراً وكان موجوداً في سنة سبع عشرة وستمائة فقد توفي في هذه السنة أو بعدها (ابن خلكان في ترجمة طغتكين بن أيوب ١ / ٢٩٨) .

(٤) هو متمم بن نويرة اليربوعي وقصيدته التي يرثي بها أخاه مالكاً من المراثي السبع المعدودة من عيون الشعر العربي وأولها :

لعمري وما دهري بتأبين مالكٍ ... ولا جزعاً مما أصاب فأوجعا

وفيها يقول :

فإن تكن الأيام فرّقن بيننا ... لقد بان محموداً أخي يوم ودّعا
وعشنا بخيرٍ في الحياة وقبلنا ... أصاب المنايا رهط كسرى وتُبّعا
وكنا كندماني جَذيمةَ حقبةً ... من الدهر حتى قيل لن يتصدعا
فلما تفرّقنا كأني ومالكاً ... لطول اجتماعٍ لم نبت ليلةً معا
فتىً كان أحيا من فتاةٍ حييةٍ ... وأشجع من ليث إذا ما تمنعا

والقصيدة من قصائد جمهرة أشعار العرب لأبي زيد القرشي ص ١٤١

فما أمُّ سَقْبٍ (١) أَوْدَعَتْهُ قَرارَةً ... مِنَ الأرضِ وانساحتْ لِتَرْعى (٢) وتَهْجَعا
لَحِيسٍ (٣) كَمِثْلِ الأَيْهُقانِ ابنِ لَيْلَةٍ ... أَمَدُّ (٤) قُواهُ أنْ يَنوءَ فَيَرْكَعا (٥)
ويَهْتَزُّ فِي المَشْيِ (٦) القَرِيبِ كأنَّهُ ... قَضِيبٌ مِنَ البانِ ارْتَوى (٧) فَتَرَعْرَعا
فظَلَّتْ بِمُسْتَنٍّ (٨) الصَّبا مِنْ أَمامِهِ ... تَبَغَّمُ (٩) فِي المَرْعَى إِلَيْهِ لِيَسْمَعا
إذا غَفَلَتْ (١٠) نادَتْ (١١) وإنْ نابَ نَبْأَةٌ ... على سَمْعِها تَذْكُرْ طَلاها فَتَرْفَعا (١٢)

---

(١) السَّقْب : ولد الناقة • وفي طبقات الشعراء لابن المعتز « فما أمُّ خشفٍ ••••»
والخِشْف : ولد الظبي •

(٢) في الأصل : لتروى ، واخترنا رواية طبقات الشعراء •

(٣) لحيس : أي لاتزال أمه تلحسه لقرب عهده بالولادة • وفي الطبقات : « كلون الأيهقان » •
والأيهقان : الجرجير البري •

(٤) في الطبقات : « أَمَرُّ قواه •••• » •

(٥) في الأصل : « وير كعا » والترجيح من الطبقات •

(٦) في الطبقات : « في الممشى •••• » •

(٧) في الطبقات : « التوى » •

(٨) المُسْتَنُّ : المضطرَب والمذهب •

(٩) بَغَمَت الناقة وتبغمت : قطعت الحنين ولم تمده • وفي الطبقات : « تنغم •••• » •

(١٠) في الطبقات : إذا أغفلت •••• ولعلها : إذا قَفَلَت أي عادت •

(١١) في الأصل : « زادت » • والترجيح من الطبقات •

(١٢) رفع البعيرُ في سيره : بالغ • ورواية الطبقات (فتربعا) ورَبَع : توقف وانتظر وتحبس •

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فَخَالَفَهَا (١) عَارِي ٱلْفَوَاهِقِ (٢) شَاسِبٌ ... أَخُو قَفْرَةٍ أَضْحَى وَأَمْسَى مُجَوَّعَا

فَأَنْهَلَ مِنْهُ بَعْدَ عَلٍّ وَلَمْ يَدَعْ ... لِمُلْتَمِسٍ إِلاَّ وَشِيقًا (٣) مُذَعْذَعَا (٤)

فَجَاءَ بِرَيَّاهُ نَسِيمٌ مِنَ ٱلصَّبَـا ... إِلَيْهَا (٥) وَرُزْءٌ جَرَّ ثُكْلاً فَأَوْجَعَا (٦)

فَأَعْجَلَهَا عَنْ حَمْلِهَا ٱلْوَجْدَ فَٱرْتَمَتْ ... عَلَى دَهَسٍ (٧) لاَ تَأْتَلِي أَنْ تَشَنَّعَا (٨)

مُوَلَّهَةٌ لَمْ يَتْرُكِ ٱلْوَجْدُ عِنْدَهَـا ... بِوَاحِدِهَا إِلاَّ فُؤَاداً مُرَوَّعَـا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(١) خالفها : أي قصد ولدها وهي رواية عنه .

(٢) في الأصل : « فخالفها عاري التراقي ابن قفرة » والترجيح من الطبقات ، وكأنه أراد بالفواهق جمع فَهقة وهي عظم عند مركب العنق ولكن جمعها فِهاق ، ولذلك رأى محقق الطبعة المصرية أنها مصحفة عن « النواهق » وقال : « النواهق : العظام الشاخصة بجوار العين . » ولكن يرد على ذلك أن النواهق لذوات الحافر وليست للسباع المفترسة . والشاسب : الضامر المهزول .

(٣) الوشيق : لحم يقدد حتى ييبس . وفي الطبقات : « إلاّ شريحا » والشريح : القطعة من اللحم وكل سمين من اللحم ممتد .

(٤) المذعذع : المبدّد . وفي الأصل « مدعدعا » .

(٥) في الطبقات : « صباحًا وَدَرٌّ .... » .

(٦) قال ابن المعتز في الطبقات بعد هذا البيت : « وهذا كلام يعجز الشعراء ويفضحهم » .

(٧) الدَّهْسُ : المكان السهل ليس برمل ولا تراب ، ويجوز أن يكون : « على دَهَشٍ » .

(٨) شَنَّع البعيرُ وتشَنَّع : انكمش وجد في السير .

فطافتْ بمَلقاهُ ومَصرعِ جَنْبِهِ ... فَسافَتْ(١) دَماً مِنهُ وَشِلْواً مُقَطَّعا

لحارتْ وبارتْ واستطارتْ ورجَّعتْ ... حَنيناً فأبكتْ كلَّ مَن كانَ مُوجَعا

وَندَّتْ(٢) على وَحْشيِّها تَركَبُ الرُّبى ... وتَنفي الحصى أخفافُها قد تَصدَّعا

فلأياً(٣) بِلأْيٍ ما ثَنَوْها عشيَّةً ... وَشَدُّوا بعَيْنَيها الحِبالَ لِتَرْبَعا(٤)

فقامتْ أخيرَ البَرْكِ(٥) يَدعو حَنينُها ... حنينَ المَوالِيهِ(٦) الثَّكالى المُرَجَّعا

وقُمْنَ بجنبيها فأسعدْنَ شَجْوَها ... كما أسعدَ الحيُّ المُصابَ المُفَجَّعا

فإنْ سَجَرَتْ(٧) وَهْناً سَجَرْنَ لِسَجْرِها ... وإنْ سَجَعَتْ(٨) وَهْناً تجاوَبْنَ سُجَّعا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

---

(١) سافتْ . شمَّتْ ، والشِّلْوُ : العضو من أعضاء اللحم وكل مسلوخ أكل منه شيء وبقيت منه بقية .

(٢) نَدَّ البعير : نفر وذهب على وجهه شارداً . ووحشيُّ كل دابة : شقه الأيمن ، وإنسيه : شقه الأيسر .

(٣) اللأْي : الإبطاء والاحتباس والشدة .

(٤) في الأصل : «لترتعا» ولعل ما أثبتناه الصواب . يقال رفع البعير : بالغ في سيره ، وربع : توقف وانتظر وتحبس .

(٥) البَرْك : إبلُ أهل الحِواء كلها التي تروح عليهم بالغةً ما بلغتْ وإن كانت ألوفاً .

(٦) المَوالِيهُ : جمع مِيلاه وهي الشديدة الحزن والجزع على ولدها .

(٧) سَجَرت الناقة سَجْراً وسُجُوراً : مدَّت حنينها . والوهن : نحو نصف الليل أو بعد ساعة منه .

(٨) سجعت الناقة : مدت حنينها على جهة واحدة .

فَنَحْنُ نِسَاءُ الْحَيِّ مِنْ بَعْدِ هَجْعَةٍ   لِصَوْتِ دَعَا أُثْكَالَهُنَّ فَأَسْمَعَا
وَأَقْبَلْنَ مِنْ هُنَّا وَهُنَّا وَأَسْفَرَتْ   سُتُورُ الدُّجَى عَنْ مَأْتَمٍ قَدْ تَجَمَّعَا
فَمَا شَقَّ(١) ضَوْءُ الْفَجْرِ حَتَّى تَصَدَّعَتْ   جُيُوبٌ(٢) وَحَتَّى فَاضَ دَمْعٌ فَأَسْرَعَا
بِأَوْجَعَ مِنِّي يَا سَعِيدُ تَحَرُّقًا   عَلَيْكَ وَلَكِنْ لَمْ أَجِدْ عَنْكَ مَدْفَعَا

* * *

فَلَوْ أَنَّ شَيْئًا فِي لِقَائِكَ مُطْمِعٌ   صَبَرْتُ وَلَكِنْ لَا أَرَى فِيهِ مَطْمَعَا
فَأُقْسِمُ لَا تَنْفَكُّ نَفْسِي شَجِيَّةً   عَلَيْكَ وَوَجْهِي حَائِلَ اللَّوْنِ أَسْفَعَا
وَقَدْ كُنْتُ أَلْحَى مَنْ بَكَى لِمُصِيبَةٍ   فَهَا أَنَذَا قَدْ صِرْتُ أَبْكَى وَأَجْزَعَا
وَقَدْ قَرَعَتْنِي الْحَادِثَاتُ وَرَيْبُهَا   بِثُكْلِكَ حَتَّى لَمْ أَجِدْ فِيَّ مَقْرَعَا
وَقَدْ كُنْتُ مَغْبُوطًا وَقَدْ كُنْتُ مُصْعَبًا   فَأَصْبَحْتُ مَرْحُومًا لِفَقْدِكَ أَخْضَعَا
وَقَدْ كُنْتَ لِي أَنْفًا حَمِيًّا فَفَاتَنِي   بِكَ الْقَدَرُ الْجَارِي فَأَصْبَحْتُ أَجْدَعَا
فَلَوْ أَنَّ طَوْدًا مِنْ تِهَامَةَ ضَافَهُ   مِنَ الْوَجْدِ مَا قَدْ ضَافَنِي لَتَضَعْضَعَا
فَيَا سَيِّدًا قَدْ كَانَ لِلْحَيِّ عِصْمَةً   وَيَا جَبَلًا قَدْ كَانَ لِلْحَيِّ مَفْزَعَا
دَرَأْتُ بِهِ جَبْرَ الرَّزَايَا وَلَمْ أَجِدْ   لَهُ خَلَفًا فِي الْغَابِرِينَ فَأَقْنَعَا

(١) شَقّ ضوء الفجر : طلع .

(٢) الجيوب : جمع جَيْب : وهو القلب والصدر .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وَأَبْيَضَ وَضَّاحِ ٱلْجَبِينِ كَأَنَّهُ ... سَنَا قَمَرٍ أَوْفَى مَعَ (١) ٱلْعَشْرِ أَرْبَعَا

قَطِيعَ لِسَانِ ٱلْكَلْبِ عَنْ نَبْحِ ضَيْفِهِ ... مُوَطَّأَ أَكْنَافِ ٱلرِّوَاقِ سَمَيْذَعَا

وَمُجْتَنِبًا لِلْقَوْلِ فِي غَيْرِ حِينِهِ ... خِضَمًّا وَقَوَّالًا إِذَا قَالَ مِصْقَعَا

يَصُونُ بِبَذْلِ ٱلْمَالِ نَفْسًا كَرِيمَةً ... وَعِرْضًا حِمًى مِنْ كُلِّ سُوءٍ مُمَنَّعَا

فَتَى ٱلْخَيْرِ لَمْ يَهْمُمْ بِغَدْرٍ وَلَمْ يُعَبْ ... بِعَجْزٍ وَلَمْ يَمْدُدْ إِلَى ٱلذَّمِّ إِصْبَعَا

وَلَا كَانَ فِي ٱلنَّادِي فَيَهْجُرَ قَوْمُهُ ... بِأَمْلَا مِنْهُ فِي ٱلْعُيُونِ وَأَرْوَعَا

وَلَا غَابَ إِلَّا نَافَسَ ٱلْقَوْمُ بَيْنَهُمْ ... وَلَا آبَ إِلَّا كَانَ لِلْحَيِّ مَقْنَعَا

وَمَا زَالَ حَمَّالًا لِكُلِّ عَظِيمَةٍ ... – إِلَى أَنْ قَضَى مِنْ نَحْبِهِ – مُذْ تَرَعْرَعَا

فَتًى كَانَ لَا يَدْعُو إِلَى ٱلشَّرِّ نَفْسَهُ ... فَإِنْ جَاءَهُ ٱلشَّرُّ ٱمْتَطَاهُ فَأَوْضَعَا

وَيَرْكَبُ صَعْبَ ٱلْأَمْرِ حَتَّى يَرُدَّهُ ... عَلَى عَقِبٍ مِنْهُ ذَلُولًا مُوَقَّعَا (٢)

وَأَمْرٍ كَحَدِّ ٱلسَّيْفِ قَدْ خَاضَ غَمْرَهُ ... بِهِمَّاتِهِ (٣) كَيْمَا يَضُرَّ وَيَنْفَعَا

رَأَتْهُ ٱلْمَنَايَا خَيْرَنَا فَٱخْتَرَمْنَهُ ... وَكُنَّ بِتَعْجِيلِ ٱلْأَخَايِرِ نُزَّعَا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

---

(١) هذا البيت أحد الأبيات الأربعة عشر التي نقلها ابن المعتز من هذه القصيدة في كتابه طبقات الشعراء ، والرواية هناك : «... على العشر أربعا» .

(٢) الموقّع : البعير تكثر آثار الدّبر عليه : وهي قروح تحدث من الرحل ونحوه .

(٣) كذا ولعله : بهمته .

تَقَنَّصْتُهُ مِنْ دُونِ بَيْضَاءَ نَثْلَةٍ (١) وَعَضْبٍ إِذَا مَا صَابَ لِلْقَطْعِ أَسْرَعَا

* * *

وَأَجْرَدَ خَوَّارِ الْعِنَانِ (٢) كَأَنَّهُ عُقَابٌ هَوَتْ مِنْ بَيْنِ نِيقَيْنِ أَتْلَعَا

أَشَقَّ (٣) طَوَاهُ الرَّكْضُ فِي كُلِّ غَارَةٍ وَحَطْمُ الْقَنَا بِالنَّحْرِ حَتَّى تَجَزَّعَا

وَأَشْرَسَ (٤) يَسْتَقْرِي الْكُمَاةَ أَجَابَهُ فَبَوَّأَهُ فِي مُلْتَقَى الْخَيْلِ مَصْرَعَا

جَهِيضًا (٥) يَذُبُّ الطَّيْرَ عَنْهُ بِكَفِّهِ فَيُحْجِمْنَ عَنْهُ ثُمَّ يَرْجِعْنَ شُرَّعَا

فَمِنْ وَالِغٍ حَصْدَاءِ جِلْدَةِ ظَهْرِهِ وَمِنْ نَاهِشٍ أَدْفَى (٦) الْجَنَاحَيْنِ أَقْرَعَا

* * *

كَأَنَّ سَمِيدَ الْخَيْرِ لَمْ يَهْدِ (٧) غَارَةً كَرِجْلِ الْجَرَادِ الْتَفَّ ثُمَّ تَرَفَّعَا

---

(١) النثلة : الدرع الواسعة .

(٢) فرس خوَّار العنان : سهل المعطف كثير الجري . والنيق : أرفع موضع في الجبل .

(٣) الأشَقّ من الخيل : الذي يشتق في عدوه يميناً وشمالاً وقيل البعيد ما بين الفروج والطويل .
وتجزّع : تقطع وتفرق .

(٤) الأشرس : الجريء في القتال .

(٥) الجهيض : الملقى .

(٦) أدفى الجناحين : طويل الجناحين . وفي الأصل (أزقى الجناحين) .

(٧) هدى الغارة : تقدمها .

وَلَمْ يُصَبِّحِ (١) ٱلْحَيَّ ٱلْحُلُولَ بِخَيْلِهِ   فَيَتْرُكَ مِنْهُمْ سَاحَةَ ٱلدَّارِ بَلْقَعا
وَمَا ذَرَّ قَرْنُ ٱلشَّمْسِ حَتَّى كَأَنَّهَا   تُرَى بِرِجَالِ ٱلْحَيِّ خُشْباً (٢) مُصَرَّعا
وَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَلْقَى بِكُلِّ مَجَازَةٍ   لَقِيتَ لَهُ حَسْرَى وَسَخْلاً مُوَضَّعا (٣)
وَإِنْ غَشِيَتْ (٤) حَزْناً (٥) سَنَابِكُ خَيْلِهِ   تَضَاءَلَ حَتَّى يُصْبِحَ ٱلْحَزْنُ أَجْرَعا
وَتَبْعَثُ يَقْظَانَ ٱلتُّرَابِ جِيَادُهُ   وَتَأْنِيهِ حَتَّى يَهُبَّ فَيَسْطَعا

* * *

وَلَمْ (٦) يَسْرِ بِٱلرَّكْبِ ٱلْخِفَافِ لُحُومُهُمْ   عَلَى قُلُصٍ تَثْنِي قَوَائِمَ ظُلَّعا
فَأَظْهَرَ وَٱلْحِرْبَا يَنُوفُ بِعُودِهِ   مُوَلٍّ قَفَاهُ ٱلشَّمْسَ يَحْدِينَ رُفَّعا
لَبَا وَقْعَةً فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ   وَتَلْمِيمِهِ (٧) تُجْنِي ٱلنَّجَاةَ ٱلْهَمَلَّعا (٨)

(١) صَبَّحَ القومَ : أتاهم وأغار عليهم صباحاً .

(٢) كذا ولعلها (حَشْداً) .

(٣) كذا ولعله (مُبَضَّعا) أي مقطّع .

(٤) في الأصل : عشيت .

(٥) في الأصل : جربا .

(٦) أي : وكأنه لم يسر ....

(٧) كذا في الأصل ولم يظهر لنا وجه الصواب .

(٨) الهَمَلَّع : السير السريع . وفي الأصل : الهميلعا .

وَتَستودِعُ المَعْزاءَ(١) عِندَ انبعاثِها ... بَناتِ الحَوايا(٢) والشَّريحَ المُقطَّعا
كأنَّ على أكوارِها حينَ تَنفري ... سَرابيلُهُمْ عنهُمْ أجادِلَ وُقَّعا
تَرى كُلَّ دَهْماءِ الحَواشي مَكُورَةً ... على كُلِّ وَجهٍ حالَ مِنهُمْ وأخْدَعا

* * *

وَلَمْ(٣) يَهَبِ الكُومَ المَرايا(٤) وَعَبْدَها ... كأنَّ بِها نَخْلاً بِنَجْرانَ يُنعا
مُضَمَّنةً أمثالَها في بُطونِها ... مُكَحَّلةً قُبلَ(٥) المَرافِقِ مُزَّعا(٦)
تَرِفُّ بأمثالِ المَجادِلِ(٧) لَمْ يَدَعْ ... رَضيخُ النَّوى والقَضْبِ(٨) فيهِنَّ مَضْبَعا(٩)

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(١) المَعْزاء: الأرض الصلبة الكثيرة الحصى .

(٢) الحوايا: جمع حَوِيَّة وهي ما تحوّى أي انقبض واستدار من الأمعاء . وكساء يحشى بهشيم النبات ويجعل حول سنام البعير .

(٣) أي: وكأنه لم يهب ....

(٤) المرايا: جمع مَرِيّ وهي الناقة الكثيرة اللبن .

(٥) القُبْل: جمع أقبل وهو البعيد ما بين أوساط الساقين .

(٦) مزع البعير: أسرع . وفي الأصل (نُزَّعا) .

(٧) جمع مجدل: وهو القصر .

(٨) القضب أغصان البقل، والرطب . والكلمة في الأصل غير منقوطة .

(٩) ضبعت الناقة: مدت ضبعيها في سيرها واهتزت .

تصيّفتِ اللَّجُّونَ (١) ثم تخيّرت ... لها من شماريخ (٢) الفُلَيْجَةِ (٣) مَرْبعا (٤)

إذا شقشقت (٥) فيها حسبتَ هديرها ... هماهمَ رعدٍ آخرَ الليلِ رُجَّعا

* * *

ولم (٦) يُحْرِمِ (٧) البيضَ اللواتي كأنها ... نجومُ الثريا مسقطَ النسرِ طُلَّعا

مُجَلّلةً خزًّا وقزًّا يطأْنه ... بأقدامها والسابريَّ (٨) المُضَلَّعا

تهزُّ إذا تمشي متونًا كأنما ... تهزُّ بهن الريحُ عيدانَ (٩) نُيَّعا

كأنَّ البُرى (١٠) والعاجَ في قصباتها ... تَعَمَّرْنَ (١١) ضالاً أو تعمّرن خِرْوَعا (١٢)

* * *

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(١) اللَّجُّون : بلد بالأردن بينه وبين طبرية عشرون ميلاً (معجم البلدان) .

(٢) الشماريخ : رؤوس الجبال .

(٣) الفُلَيْجَة : تصغير الفَلَجَة (معجم البلدان) والفَلَجَة من أرض دمشق وهي بلدة الشاعر كما تقدم .

(٤) المَرْبع : الموضع يقام فيه فصل الربيع .

(٥) شقشق الفحلُ : هدر .

(٦) أي : وكأنه لم يحرم ...

(٧) أحرم الشيءَ : جعله حراما . وفي الأصل (ولم تحدم) .

(٨) السابري : النسيج الجيد نسبة الى سابور على غير القياس .

(٩) ناع الغصنُ : مال .

(١٠) البُرى : جمع بُرَة وهي كل حلقة من سوار وقرط وخلخال .

(١١) كذا في الأصل ولم يظهر لنا صوابه .

(١٢) الخِرْوَع : كل نبت ضعيف يتثنى .

تَرَى ٱلنَّاسَ أَرْسَالاً إِلَيْهِ كَأَنَّمَا تَضَمَّنَ أَرْزَاقَ ٱلْعُفَاةِ لَهُمْ مَعَا
فَمِنْ صَادِرٍ قَدْ آبَ بِٱلرِّيِّ حَامِدٍ وَمِنْ وَارِدٍ شَاحٍ بِفِيهِ لِيَكْرَعَا
أَفَاتَ[1] بِإِبْقَاءٍ عَلَى ٱلْعِرْضِ مَالَهُ فَأَنْجَحَ إِذْ أَكْدَى ٱلْبَخِيلُ وَأَوْضَعَا
وَلَا يَسْتَخِصُّ ٱلْقِدْرَ مِنْ دُونِ جَارِهِ لِيَشْبَعَ وَٱلْجِيرَانُ يُمْسُونَ[2] جُوَّعَا
جَوَادٌ إِذَا مَا أَلْصَقَ ٱلْمَحْلُ بِٱلثَّرَى وَضَاقَ لِئَامُ ٱلنَّاسِ عَنْهُ تَوَسَّعَا
كَسَاهُ ٱلْحَيَاءَ ٱلْجُودُ حَتَّى لَوَ ٱنَّهُ يُجَرَّدُ مِنْ سِرْبَالِهِ مَا تَمَنَّعَا
وَيُلْقِي رِدَاءَ ٱلْعَصْبِ[3] قَبْلَ ٱبْتِذَالِهِ وَقَبْلَ (بِلَاهُ)[4] ٱلْحَضْرَمِيَّ ٱلْمُرَصَّعَا
إِذَا ٱلْعَرَقُ ٱلْمَرْشُوحُ بَلَّ رِدَاءَهُ جَرَى ٱلْمِسْكُ مِنْ أَرْدَانِهَا[5] فَتَضَوَّعَا
فَيَوْمًا تَرَاهُ بِٱلْعَبِيرِ مُضَمَّخًا وَيَوْمًا تَرَاهُ بِٱلدِّمَاءِ مُلَمَّعَا
وَيَوْمًا تَرَاهُ يَسْحَبُ ٱلْوَشْيَ غَادِيًا وَيَوْمًا تَرَاهُ فِي ٱلْحَدِيدِ مُقَنَّعَا

---

(١) هذا البيت والذي يليه من الأبيات الأربعة عشر التي نقلها ابن المعتز من هذه القصيدة في كتابه طبقات الشعراء والرواية هناك : «أناف ....» وليس كذلك .

(٢) في طبقات الشعراء : (يمشون) والصواب خلافه .

(٣) العَصْب : ضرب من البرود . وفي الأصل (العضب) وهو تصحيف .

(٤) في الأصل (تلاد) ولعل الصواب ما أثبتناه . والحضرمي : النعل .

(٥) كذا بالأصل ولعله : (من أردانه) .

إذا(١) نالَ مِنْ أقصى مَدى(٢) المَجْدِ غايةً سَما طالِباً مِنْ تِلْكَ أسْنى وأرْفعا
أجلُّ عَنِ العُورِ الهَواجِرِ سَمْعَهُ وَوَقَّرَهُ(٣) مِنْ أنْ تُقالَ فَيسْمَعا
لَهُ راحَةٌ فيها حِباً(٤) لِصَديقِهِ وأُخرى(٥) سَقَتْ أعْداءهُ السُّمَّ مُنْقَعا

* * *

فَما فُجِعَ الأقْوامُ مِنْ رُزْءِ هالِكٍ بِأعْظَمَ مِمّا قَدْ رُزِئْتُ وَأفْظَعا
وَمَنْ طابَ نَفْساً عَنْ أخٍ لِوَداعِهِ فَما طِبْتُ نَفْساً عَنْ أخي يَوْمَ وَدَّعا
فَوا عَجَباً لِلأرْضِ كَيْفَ تأَلَّبَتْ(٦) عَلَيْهِ وَوارَتْ ذلِكَ الفَضْلَ أجْمَعا
وَيا بُؤْسَ هذا الدَّهْرَ مِنْ ذي تَلَوُّنٍ وَذي فَجَعاتٍ ما أفَظَّ وَأقْطَعا

---

(١) قال ابن المعتز : «هذا البيت سجدة للشعراء» وهو مع البيتين اللذين بعده آخر ما نقله ابن المعتز من الأبيات الأربعة عشر من هذه القصيدة في كتابه طبقات الشعراء .

(٢) في طبقات الشعراء : (عرى المجد) .

(٣) في طبقات الشعراء : (ونزّهه) .

(٤) في طبقات الشعراء : (الحيا) .

(٥) في طبقات الشعراء : (وأخرى لمن عادى بها السم منقعا) .

(٦) في الأصل (تألت) .

هُوَ ٱلْمُتَعِسُ (١) ٱلنُّعْمَانَ (٢) قَسْراً وَقَبْلَهُ ... أَبَا كَرِبٍ (٣) وَٱلْأَيْهَمَيْنِ (٤) وَتُبَّعَا (٥)

وَزَيْدَ بْنَ (٦) كَهْلَانٍ وَعَمْرَو بْنَ (٧) عَامِرٍ ... وَحُلْوَانَ (٨) أَرْدَى عَنْوَةً وَٱلْهَمَيْسَعَا (٩)

فَمَنْ ذَا ٱلَّذِي أَضْحَى يُؤَمِّلُ بَعْدَهُمْ ... فَلَاحاً وَقَدْ كَانُوا أَعَزَّ وَأَمْنَعَا

وَمَا أَحَدٌ إِلَّا لَهُ ٱلْمَوْتُ نَاصِبٌ ... بِمَوْقَعَةٍ (١٠) مِنْهُ حَبَائِلَ صُرَّعَا

وَكُلُّ ٱمْرِئٍ مِنْهَا بِمَنْزِلِ (١١) قُلْعَةٍ ... وَإِنْ وَلَدَ ٱلْأَوْلَادَ فِيهَا وَجَمَّعَا

* * *

(١) في الأصل : المعس .

(٢) هو أبو قابوس النعمان بن المنذر اللخمي ملك الحيرة ممدوح النابغة الذبياني قتله كسرى .

(٣) أبو كرب أسعد بن مالك الحميري من التبابعة .

(٤) الأيهم الأول والأيهم بن جبلة ملكان من ملوك غسان في الشام .

(٥) تُبَّع الحميري : حسان بن أسعد من أعاظم تبابعة اليمن ثار عليه جماعة من قومه فقتلوه .

(٦) زيد بن كهلان : ينتهي اليه نسب عدة من قبائل العرب القحطانية .

(٧) عمرو بن عامر مُزَيْقِياء جد بني جفنة ملوك غسان .

(٨) هو ابن عمرو بن عامر .

(٩) الهميسع بن حمير : ملك بعد أبيه وهو أبو الملوك التبابعة والأقيال والأذواء .

(١٠) موقَعة الطائر : موضع يقع عليه .

(١١) منزل قُلعة : لا يُملك ، ومجلس قُلعة : يُقلع عنه الجالس إذا جاء من هو أعز منه ، والدنيا دار قُلعة : أي انقلاع وارتحال .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وبعد فالناظر في هذه القصيدة نظرة متدبر يرى أنها أشبه بشعر العصر الأموي بل بشعر العصر الجاهلي ، ويتبين أن صاحبها شامي من العرب القحطانية ، فلقد ذكر في أواخرها مراتع إبله في (اللَّجُّون) و (الفليجة) وهما بالشام و (الفَلَّجَة) بلدة الشاعر ، كما ذكر ملوك اليمن وأقيالها وتبابعتها وأذواءها ، وملوك اللخميين في الحيرة ، وملوك غسان في الشام ، وكل أولئك من العرب القحطانية ، ذكر مصارعهم وانقضاء دولهم وغدر الدهر بهم على سبيل التأسي والاعتبار .

ولئن كان لمتمم بن نويرة فضل السبق في قصيدته التي رثى بها أخاه مالكاً ، فإن للحارثي في قصيدته هذه التي عارضه بها مزية الاستقصاء والتنويع في تمثيل حزنه وتصويره .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

*
**

استدراك

ذكرنا في القسم الأول في هذه المقالة — المنشور في الجزء الماضي من هذه المجلة — الأدلة التي تثبت أن القصيدة اللامية التي مطلعها :

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه فكلُّ رداء يرتديه جميلُ

لعبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي . وقد اطلعنا منذ بضعة أيام على دليل جديد يعد من أقوى الأدلة في كتاب عيار الشعر لمحمد بن أحمد بن طباطبا العلوي المتوفى سنة ٣٢٢ هـ المطبوع في مصر سنة ١٩٥٦ م .

عقد ابن طباطبا في كتابه المذكور فصلاً مهّد له بقوله : «فمن الأشعار المحكمة المتقنة ، المستوفاة المعاني ، الحسنة الرصف ، السلسة الألفاظ ، التي قد خرجت خروج النثر سهولةً وانتظاماً ، فلا استكراه في قوافيها ، ولا تكلف في معانيها» وأورد مختارات من أحسن الشعر لجماعة من كبار الشعراء حتى انتهى إلى قوله : وكقول عبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي :

تعيّرنا أنّا قليلٌ عديدُنا فقلتُ لها إنّ الكرامَ قليلُ

ثم أورد بعد هذا البيت أربعة عشر بيتاً على سبيل الاختيار وعلى أنها للحارثي . انظر عيار الشعر ص ٤٨ و ٦٥ و ٦٦ .

خليل مردم بك

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أهم القرارات العلمية

في مجلة مجمع اللغة العربية [1]

لا يجهل أحد من المثقفين مبلغ اتساع العلوم في عصرنا الحاضر، ومبلغ حاجتنا إلى مصطلحات علمية عربية تجعل لغتنا قادرة على استيعاب تلك العلوم، وعلى التعبير عن حاجات المدنية الحديثة. وكل عالم ثبت يتصدى لوضع المصطلحات يتساءل عن القواعد اللغوية التي يجب عليه اتباعها في عمله من دون أن تزل قدمه. وليست تلك القواعد في متناول يد كل إنسان، فكثير منها آراء لعلماء اللغة القدماء مبثوثة في كتب متفرقة سقيمة الطبع، مغلقة العبارة، فلا يقدم على مطالعتها إلا فقهاء اللغة أو الذين أوتوا حظاً كبيراً من الصبر والجلد.

ولذلك كان أنفع عمل أتاه مجمع اللغة العربية في مصر، عقب إنشائه، اتخاذ قرارات مهمة في القياس وسّع فيها أبوابه، وأثبت الصحة في قياسية عدد من الأوزان والجموع، مما أنار الطريق أمام واضعي المصطلحات العلمية، وسهّل عملهم، وجنّبهم عناء مراجعة الكتب القديمة، أو الوقوع في مزالق الآراء الحديثة الفجة.

ولكن القرارات المذكورة جاء معظمها في الأجزاء الأربعة الأولى من مجلة المجمع المشار اليه؛ وهذه الأجزاء نفدت كلها منذ سنين، ولم يعد المجمع طبعها، على حين أن عدداً من المثقفين، حتى من أعضاء المجمع الجدد، يتوقون جميعاً الى الحصول عليها فلا يجدونها. أما سائر القرارات فهي مبثوثة

---

(١) بحث ألقاه الأمير مصطفى الشهابي نائب رئيس المجمع العلمي العربي في جلسة المجمع الختامية لسنة ١٩٥٧ م.

في بقية أجزاء المجلة ، ولا بد من بذل شيء من الجهد للعثور عليها في صفحات تلك الأجزاء .

وقد كنتُ بحثت في قرارات مجمع مصر هذه ، وأدرجت ما يهمنا منها في المحاضرات التي ألقيتها سنة ١٩٥٥ على طلاب معهد الدراسات العربية العالية في القاهرة[١] . وكذلك لخصتها في مقدمة « معجم الألفاظ الزراعية بالفرنسية والعربية »[٢] . وعندما عُقد مؤتمر المجامع اللغوية العلمية العربية في دمشق ، في التاسع والعشرين من أيلول سنة ١٩٥٦ ، ذكرت للمؤتمر ما في جمع هذه القرارات ، وطبعها ، هي وشروحها ، والاحتجاج لها ، من فوائد يفيدها واضعو المصطلحات العلمية ومحققوها . وقد لبى المؤتمر اقتراحي واتخذ التوصية الآتية :

« يوصي المؤتمر بجمع القواعد والشروح التي وضعها مجمع اللغة العربية في التعريب ، وقياسية بعض الأوزان والجموع ، في كتاب تطبعه الجامعة العربية ، ليكون دستوراً للمجامع فيما تضع أو تحقق من مصطلحات » .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وها قد مرت سنة على هذا القرار ولما يُصدر الكتاب الملمع اليه ، لذلك رأيت من المفيد أن أجمل قرارات المجمع في هذا المقال ، ذاكراً مثالاً أو أكثر لكل قرار ، وشارحاً في إيجاز ما يحتاج الى شرح . أما النصوص اللغوية التي استند المجمع اليها في اتخاذ قراراته فلا مجال لذكرها ، ولا لذكر الموازنة بينها في مثل مقالي هذا .

والمجمع ، على ما هو واضح ، لم يبتدع قواعد جديدة للغتنا الضادية ، بل رجح مذاهب عدد من أئمة اللغة ، وهي مذاهب القائلين بقياسية بعض الأوزان والجموع ؛ وترخّص في بعض القواعد دون إخراجها عن أوضاعها ،

(١) طبع المعهد المشار اليه التابع لجامعة الدول العربية هذه المحاضرات بعنوان « المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث » فجاءت في ١٣٥ صفحة .

(٢) أتممت في هذه السنة طبعه في القاهرة طبعة ثانية منقحة ومزيدة .

لكي لا يظهر عجز لساننا عن مجاراة الألسن الأخرى ، وغرض المجمع في ذلك تيسير وضع المصطلحات العلمية دون الإخلال بسلامة اللغة .

وها كم بعد هذا خلاصة في القرارات التي وردت في الجزء الأول من مجلة المجمع [1] .

قرار التعريب :

«يجيز المجمع أن يُستعمَلَ بعض الألفاظ الأعجمية ، عند الضرورة ، على طريقة العرب في تعريبهم» .

ومن الواضح أن التعريب في هذا المقام ليس التبيين ، ولا ترجمة اللفظ الأعجمي بمعناه ، على ما قد يذهب اليه بعضهم ، وإنما هو إدخال ذلك اللفظ الأعجمي في اللغة العربية ، أي كتابته بحروف عربية ، وإعطاؤه حكم اللفظ العربي ، سواء أأمكن جعله على وزن من الأوزان العربية أم لا . والتعريب في العربية قديم ، على ما هو معروف . ففي القرآن الكريم نحو مائة كلمة معربة كالزنجبيل والسِّجِّيل والإستبرق والسرادق والقسطاس وغيرها .

وفي معجماتنا القديمة عدد كبير من المعربات دعت الحاجة إلى إدخالها في اللغة ، سواء في الجاهلية أو بعد انتشار العرب في الفتوحات الإسلامية ، كالأترج والباذنجان والإسفاناخ والكرويا والياسمين في النبات ، والجاموس والسلحفاة والأنكليس والببر والسمور والسنجاب في الحيوان ، والزئبق والبورق والطلق والزرنيخ والنطرون والجص في المواد والمركبات الكيمياوية ، الى آخر أشياء هذه المعربات في شتى شؤون الحياة من لباس وطعام وشراب وآلات وأدوات وعلوم مختلفة .

(١) دور الانعقاد الأول سنة ١٩٣٤ ، وقد احتج المرحوم الشيخ أحمد الاسكندري لهذه القرارات في الجزء نفسه من المجلة (ص ١٧٧ - ٢٦٨) .

أما المعربات المولدة فهي كثيرة جداً ، ولا مجال للبحث فيها ، والذي يهمنا ذكره في هذا الموضوع أن أئمة اللغة العربية كانوا أجمعوا على أن التعريب سماعي ، على ما ذكره المرحوم الشيخ أحمد الاسكندري في الجزء الأول من مجلة مجمع اللغة العربية . ولكن هذا القول لا يقره عالم من علماء العرب في أيامنا ، فنحن معها نبالغ في تجنب التعريب ، ذاهبين إلى إيجاد ألفاظ عربية بوسائل الاشتقاق ، والمجاز ، فهناك ألفاظ أعجمية في العلوم الحديثة لا بد لنا من تعريبها ؛ ومن هذه الألفاظ الأعجمية ما لا يجوز إلا تعريبها ، كأسماء نباتات جهلتها العرب ، وكشف النباتيون الغطاء عنها حديثاً ، ثم سموها بأسماء أعلام تنويهاً بتلك الأسماء ، وتخليداً لها ، مثالها الزهرة المسماة دَهْلِيَة فهي على اسم عالم نباتي سويدي اسمه دَهْل ، ومثل الشجرة المسماة مَكْلُورَة فهي منسوبة الى المواليدي الأميركي المسمى مَكْلُور ، وهكذا فان كثيراً من النباتات قد سميت بأسماء علماء وملوك وحكام وأقاليم ومدن وآلهة من آلهة القدماء ، وكلها لا بد من تعريبها ، وإيجاد أسماء عربية لها شيء بعيد عن المنطق .

وفي كثير من العلوم الحديثة أسماء علمية يكاد يكون من المستحيل وضع أسماء عربية لها بوسائل الاشتقاق أو المجاز ، ولذلك أجاز مجمع اللغة العربية التعريب ، ولكنه قيده بكلمتي «عند الضرورة» ، أي عند العجز عن إيجاد كلمة عربية تقابل الكلمة الأعجمية .

ومعظم العلماء الحرصاء على سلامة اللغة يرون في نقل الألفاظ الأعجمية الى لغتنا العربية الرجوع الى الوسائل الآتية على التتابع وهي : الترجمة ، وإذا تعذرت فالاشتقاق أو المجاز ، واذا تعذر الاشتقاق أو المجاز فالتعريب . ومن الواضح أن التعريب يأتي في المرحلة الثالثة أي عند الضرورة اليه . والعالم الثبت هو الذي يعرف مبلغ الضرورة في وضع المصطلحات ، أي حدود التعريب ومداه ، فلكل لفظ علمي أعجمي يحتاج الى دراسة خاصة لمعرفة أصلح

لفظ عربي أو معرب يقابله . وفي هذا المجال الوعر تتعارض آراء علمائنا ؛ وفيه تعرف كفاية العالم الثبت ، ودقة نظره ، وسلامة ذوقه جميعاً [1] .

ومهما يكن من أمر فمجال التعريب يكون واسعاً في نقل أسماء أعيان المواليد «من نبات وحيوان وجماد» التي لم تعرفها العرب ، وأسماء الأدوية والعقاقير والمركبات الكيمياوية ، والآلات العلمية ، والأطعمة والأشربة والألبسة الخاصة الأعجمية ؛ أما أسماء المعاني العلمية فإن مجال الترجمة والاشتقاق يكون فيها أوسع من مجال التعريب .

قرار المُوَلَّد :

«المولد هو اللفظ الذي استعمله المولَّدون ، على غير استعمال العرب ، وهو قسمان :

١ — قسم جروا فيه على أقيسة كلام العرب من مجاز أو اشتقاق أو نحوهما ، كاصطلاحات العلوم والصناعات أو غير ذلك ، وحكمه أنه عربي سائغ .

٢ — وقسم خرجوا فيه عن أقيسة كلام العرب إما باستعمال لفظ أعجمي لم تعربه العرب ، وقد أصدر المجمع في شأن هذا النوع قراره (أي قرار التعريب) ؛ وإما بتحريف في اللفظ أو في الدلالة لا يمكن معه التخريج على وجه صحيح ؛ وإما بوضع اللفظ ارتجالاً .

والمجمع لا يجيز النوعين الأخيرين في فصيح الكلام» .

من المعلوم أن كلام المولدين هو الألفاظ التي لم يضعها أو لم يصطلح عليها عرب الجاهلية وصدر الإسلام ، أي أنها تلك الألفاظ التي استعملت بعد أواخر القرن الثاني الهجري في الأمصار ، وبعد أواسط القرن الرابع في جزيرة

(١) بحثت آراء المتشددين وآراء المتساهلين في أمر التعريب في خطاب ألقيته في حفلة افتتاح الدورة الثانية والعشرين (١٩٥٥ – ١٩٥٦) لمؤتمر مجمع اللغة العربية في القاهرة ، ونشر في ص ٥٠٩ من عدد تموز سنة ١٩٥٦ من مجلتنا هذه .

العرب ؛ وهي ألوف من الكلمات ، لم يرد أكثرها في المعجمات الأصلية ، أو ورد بعضها فيها ، وأشير اليه بأنه كلام مولد ، أو كلام عامي ، أو أنه لغة مصرية أو شامية أو مثل ذلك .

وعلى الرغم من رأي المتزمتين الذين لا يستعملون إلا الألفاظ الواردة في المعجمات ، فالكثرة من علمائنا تجيز استعمال المولدات الجارية على أقيسة الكلام العربي ، كالغراسة بمعنى غرس الشجر ، والزِّبارة بمعنى تقليم الكرم ، والباقة بمعنى طاقة الزهر ، والنَّصْبة بمعنى الغرسة ، والقَسْطل بمعنى الأنبوب المعدني ، والسحّارة بمعنى السيفون ، والشَّوْح لنوع من التَّنُّوب اسمه العلمي تنوب قيليقية الخ . فهذه الألفاظ وأشباهها قد خلت منها المعاجم ، ولكنها وردت في كتب قديمة معروفة . واستعمالها جائز على ما أقره مجمع اللغة العربية في الفقرة الأولى من قرار المولد .

وفي معجم « دوزي » عدد كبير من الألفاظ المولدة تحتاج الى من ينخلها ، ويستخرج نخيلها ، ويعرضه على المجمع ليقر الصالح من تلك الألفاظ ، فلا يجد الكتّاب حرجاً في استعمالها ، سواء أكانوا من المتشددين ، أم كانوا من المتساهلين .

أما الكلمات العامية المحرفة أو المرتجلة ، والكلمات الأعجمية التي يمكن إبدال كلمات عربية منها بلا مشقة فالمجمع لا يجيز استعمالها في فصيح الكلام ، كقول بعض المعاصرين أجزاجي وباشمهندس وبوزباشي وحكيمباشي وجفتلك وباور وأشباه هذه الرطانات [١] .

ويتضح من قرار التعريب وقرار المولد أن الغرض الأول منها المحافظة على سلامة اللغة . أما القرارات التالية الواردة في المجلد الأول من مجلة مجمع مصر فهي ترمي على الأخص الى فتح باب القياس في بعض المصادر الثلاثية ، تسهيلاً

(١) نشر في عدد نيسان سنة ١٩٥٧ من مجلتنا هذه بحث عنوانه « المولد والعامي في علوم الزراعة والمواليد » كنتُ ألقيته في حفلة افتتاح الدورة الثالثة والعشرين لمؤتمر مجمع اللغة العربية في القاهرة .

لعمل واضعي المصطلحات العلمية . والنحويون في هذا الموضوع فريقان : فريق يرى أن جميع المصادر الثلاثية سماعية ، وفريق يرى أن الكثير الورود من هذه المصادر قياسي . وقد اتبع المجمع مذهب الفريق الثاني ومنهم سيبويه والأخفش وابن مالك والفراء وغيرهم .

وهاكم ماأقره المجمع في هذا الموضوع الاشتقاقي :

قرار فِعَالة للحرفة :

« يصاغ للدلالة على الحرفة أو شبهها ، من أي باب من أبواب الثلاثي ، مصدر على وزن (فِعالة) بالكسر » .

ولا يجهل أحد في أيامنا هذه مبلغ اتساع العلوم الحديثة ، وكثرة العلوم والحرف والصناعات التي لم تكن معروفة في زمن أجدادنا القدماء . فقد أجاز لنا هذا القرار وضع مصادر لم يضعها القدماء ، ولم ترد في المعجمات كالغِراسة من غَرَسَ ، والرِسامة من رَسَمَ ، والدِلاكة من دَلَكَ ، والطِباعة من طَبَعَ وهكذا .

قرار فَعَلان للتقلب والاضطراب :

« يقاس المصدر على وزن (فَعَلان) لفَعَل اللازم مفتوح العين اذا دلّ على تقلب واضطراب » .

تمس الحاجة أحياناً الى هذا المصدر في الفيزياء والكيمياء والطب خاصةً فنقول مثلاً مَوَجان من ماجَ ، ونَوَسان من ناسَ ، ونَبَضان من نَبَضَ ، وطَرَفان من طَرَفَ وهكذا . ويراد بالتقلب والاضطراب كل ما يكون فيه اهتزاز وتزعزع في مكانه .

قرار فعال للمرض :

« يقاس من فَعَلَ اللازم المفتوح العين مصدر على وزن (فُعَال) للدلالة على المرض » .

والأوزان التي جاءت عليها أسماء الأمراض كثيرة : منها وزن فُعَال . وقد صاغوا على هذا الوزن من فَعَلَ اللازم المفتوح العين كسُعال من سَعَلَ ، وخُراج من خَرَج ، مثلما صاغوا عليه من الفعل المبني للمجهول والمحوّل عن فَعَلَ المتعدي المفتوح العين ، مثل زُكام من زُكِم ، وذُباح من ذُبِح .

ومن أسماء الأمراض ما جاء على وزن فَعَلَ مصدراً لفَعِلَ المكسور العين، كالبَرَص من بَرِصَ ، والمَرَض من مَرِضَ ، والوَجَع من وَجِع . ومثل ذلك الحَبَط والحَبَج والرَّدى واللّوى والسقم والعور والضنى والسلس واللحج والنكد والجرب الخ . (انظر المخصص ج ١٤ ص ١٣٩ — ١٤٢) .

ومنها ما جاءت على أوزان مختلفة من مصادر غير مطردة كالرثية والحمى والبرسام وذات الرئة .

http://Archivebeta.Sakhrit.com

قال الشيخ أحمد الاسكندري رحمه الله في احتجاجه لقرار (فُعَال) للمرض : « اكتفى المجمع في الدورة الفارطة بتقرير قياس (فُعَال) ، وربما قرر قياسية (فَعَل) أيضاً في دورة أخرى ، لأن هذا الوزن قياسي أيضاً عند بعض النحويين واللغويين » . قلت : لم أجد في ما صدر حتى الآن من أجزاء مجلة المجمع قراراً في هذا الموضوع . وما جاء على هذا الوزن كثير ؛ فلا غرابة في أن يعده بعض النحويين واللغويين قياسياً . وهو يفيد واضعي المصطلحات الطبية ، ولي فيه بحث .

ورأينا بعض الأساتذة من الأطباء يشتقون من أسماء الأعيان أسماء للأمراض على وزن فُعال ، كقولهم وُراك « Coxalgie » من ورك ، وعُصاب Névralgie من عصب وهكذا .

ويرى عالم المصطلحات الطبية الدكتور مرشد خاطر أن هناك ضرورة للتخصيص أي أن تُخَص صيغة فُعال بالأسماء الأعجمية الدالة على الألم ، وهي التي تنتهي بالكاسعة Algie والكاسعة Dynie ، أما الأسماء الدالة على المرض والمنتهية بالكاسعة ite فيعبَّر عنها بالإضافة ؛ وعلى هذا يقال كُبَاد Hépatalgie ، والتهاب الكبد Hépatite ، ويقال مُعاد Gastralgie ، والتهاب المعدة Gastrite وهكذا .

قرار فُعال وفَعيل للصوت :

« إذا لم يرد في اللغة مصدر لفَعَل اللازم ، مفتوح العين ، الدال على صوت ، يجوز أن يصاغ له قياساً مصدر على وزن (فُعال) أو (فَعيل) » .

لم يرد في شرح هذا القرار مثال واحد يبين الحاجة اليه ؛ وهو ليس من القرارات المهمة في موضوع المصطلحات العلمية .

قرار المصدر الصناعي :

« إذا أريد صُنع مصدر من كلمة يزاد عليها ياء النسب والتاء » .

يُعد هذا القرار توسعاً مهماً في القياس . ولا أعتقد أن القدماء من النحاة أو اللغويين جعلوا موضوعه قياسياً . وهو التعبير عن الهيئات والأحوال التي تكون عليها المصادر أو أسماء الأعيان والجواهر . فقد جاء في المخصص أن العرب تقول فَعَلَ كذا على جهة العدل ، وعلى جهة الجور ، وعلى جهة الخير ، ولا يقولون على العدلية ، ولا على الجورية ، ولا على الخيرية .

ولكن المجمع لاحظ أن هذه المصادر كثيرة في كلام القدماء ، وكثيرة جداً في كلام العلماء منذ أواخر القرن الثاني الى زمننا هذا ، كقولهم جاهلية وخصوصية وفروسية واصوصية وطفولية ورهبانية وكمية وكيفية الخ . ولاحظ أن النسب بالياء الى كل لفظ شيء مطرد اطراداً قياسياً ، وأن زيادة التاء لنقل

اللفظ من الوصفية الى الاسمية جائزة ، ولذلك أفتى بقياسية هذا المصدر ، وسماه المصدر الصناعي ، أي المصدر المصنوع ، نظير قولهم المصدر القياسي ، أي المقيس ، والمصدر السماعي ، أي المسموع .

وواضعو المصطلحات العلمية يعرفون مبلغ الحاجة الى مثل قولنا قِلْوِيَّة وحَمْضية وسمية وعطرية وخشبية وأشباه ذلك .

قرار فَعَّال للنسبة الى الشيء :

« يُصاغ (فَعَّال) قياساً للدلالة على الاحتراف أو ملازمة الشيء .

فاذا خيف لبسٌ بين صانع الشيء وملازمه ، كانت صيغة (فَعَّال) للصانع وكان النسب بالياء لغيره ، فيقال زَجَّاج لصانع الزُّجاج ، وزُجاجي لبائعه » .

لا يرى سيبويه أن وزن فَعَّال مطرد ، على كثرته ، وذلك خوفاً من الالتباس ، وصرح بأنه لا يجوز مثلاً أن يقال بَرَّار لبائع البُرّ ، لأنه يلتبس بما اشتق من البِرّ بالكسر ، ولا لبائع الفاكهة فَكَّاه ، لالتباسه بما اشتق من الفَكَه ، بمعنى التفكه ، ولا لصاحب الشعير شَعَّار لالتباسه بما اشتق من الشِّعْر .

وذكر الإسكندري أن علماء اللغة قد حلوا هذه العقدة ، في كل ما أوهم اللبس ، باستعمالهم صيغة النسب بالياء ، والنسب بالياء قياسي كما هو مشهور .

وقال : « وكل كتب النحو والصرف مجمعة على أن منع القياس في صيغة فَعَّال هو مذهب سيبويه ، وأن جواز القياس فيها هو مذهب المبرد ، ولله دره ، وبرأيه أخذ المجمع » .

وحملاً بهذا القرار قلت في معجمي (زَهَّار) لبستاني الزهر ، وزَهْرِيّ لبائعه ، وكلاهما يسمى بالفرنسية Fleuriste ؛ وقلت (كَرَّام) لغارس الكروم Viticulteur ، ووَرَّاد لزارع الورد Rosiériste وهكذا .

قرار اسم الآلة :

يصاغ قياساً من الفعل الثلاثي على وزن مِفْعَل ومِفْعَلَة ومِفْعال للدلالة على الآلة التي يعالَج بها الشيء .

ويوصي المجمع باتباع صِيَغ المسموع من أسماء الآلات ، فاذا لم يُسمع وزن منها لفعل ، جاز أن يصاغ من أي وزن من الأوزان الثلاثة المتقدمة » .

وهذه الأوزان الثلاثة مشهورة . ولأسماء الآلة أوزان أُخرى سماعية كوزن مُفْعُل في مثل مُنْخُل ومُدْهُن ومُسْعُط . واشتق المحدثون أيضاً على وزن اسم الفاعل ومبالغته كالرافعة والناصبة والقوّاصة والطرّادة والطيارة وغير ذلك .

وأسماء الآلات الزراعية التي ضمنتها معجمي كثيرة كالمِحْصَد والمِدْرَس والمِقْلَع والمِزْحَف والمِحَشّة والمِلْسَنة الخ .

قرار الاشتقاق من أسماء الأعيان :

« اشتق العرب كثيراً من أسماء الأعيان .

والمجمع يجيز هذا الاشتقاق ـ للضرورة ـ في لغة العلوم » .

قلت : اشتق العرب كثيراً من أسماء الأعيان والجواهر فقالوا كَبْرَتَ من الكبريت ، وذَهَّبَ من الذهب ، وزَفَّتَ من الزفت ، وبَنَّجَ من البَنْج ، وزَنَّرَ من الزنار ، وعَصْفَرَ من العُصْفُر الخ . وقد أحصى الإسكندري في القاموس المحيط مئات من مشتقات الأعيان .

وهذه الكثرة هي التي حملت المجمع على اتخاذ قراره هذا ، أخذاً برأي ابن جني وأبي علي الفارسي القائلَين بأن ما قيس على الوارد الكثير من كلام العرب فهو من كلام العرب . أما أئمة اللغة فقد منعوا الاشتقاق من الأعيان ، وحصروه في المصادر والأفعال ، ولكن المجمع اعتبر الكثرة النسبية كافية لجعل

الاشتقاق من الأعيان قياسياً في لغة العلم فقط ، ولضرورة يدركها العلماء .

ومن تحصيل الحاصل ذكر ما في هذا القرار من فائدة ؛ فقد وضعت في معجمي أمام الكلمات الفرنسية عدداً كبيراً من الألفاظ المشتقة من أسماء الأعيان كالزَّهارة Floriculture من الزَّهْر ، والحِراجة Sylviculture من الحَرَجة ، والبَسْتَنَة Horticulture من البستان ، والبَرْعَمة Écussonnage من البرعم ، والتَّعْضِيَة والتَّعَضِّي Organisation من العضو الخ .

وقال الإسكندري رحمه الله : « وعلى ذلك يجوز لنا الآن أن نقول : مُنَحَّس من النحاس ، ومُزَرْنَخ من الزرنيخ ، ومُبَلَّر من البلّور ، ومُتَبَلِّر أيضاً ، ومُقَصْدَر من القصدير .... واستَجْصَ الحَجَرُ أي صار بالحرق جَصّاً ، واستَرَبَ النّشا أي صار رُبّاً » .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قرار التضمين :

« التضمين أن يؤدي فعل أو ما في معناه في التعبير مُؤدّى فعل آخر أو ما في معناه ، فيُعْطى حكمه في التعدية واللزوم .

ومجمع اللغة العربية الملكي يرى أنه قياسيّ لا سماعي ، بشروط ثلاثة :

الأول : تحقق المناسبة بين الفعلين .

الثاني : وجود قرينة تدل على ملاحظة الفعل الآخر ، ويؤْمَن معها اللّبس .

الثالث : ملاءمة التضمين للذوق العربي .

ويوصي المجمع ألاّ يُلجأ الى التضمين إلا لغرض بلاغيّ » .

للتضمين في اللغة معان كثيرة . وقد شرحها الإسكندري في إسهاب ، وذكر قول علماء اللغة والنحو فيها ، ثم احتج لقياسية التضمين مبيناً ما قالوه في ذلك . والتضمين بمعناه الذي أراده المجمع يهم الكتاب أكثر من واضعي المصطلحات العلمية . فالكاتب البليغ عندما يقرأ في القرآن الكريم مثلاً قوله

تعالى : « واللهُ يَعْلَمُ المُفْسِدَ مِنَ المُصْلِحِ » يهمه أن يعرف أن فعل يعلم ضُمِّنَ معنى يميز ، ولذلك تعدى بمن . وكذلك قوله تعالى : « عَتَوْا عن أَمْرِ ربِّهم » ، فالعتوّ الاستكبار ؛ وقد ضُمِّنَ معنى الانحراف والانصراف ، فعُدِّي بعن ، وهكذا .

أما واضع المصطلحات العلمية فالذي يهمه من معاني التضمين معنى المجاز أو المجاز المرسل ؛ والمجاز قياسي ؛ والرجوع الى المجاز ، أي تضمين الألفاظ اللغوية معاني اصطلاحية ، من أنجع الوسائل في وضع المصطلحات العلمية . ولا يجهل أحد بعض ألفاظ مجازية وُضعت حديثاً كالقطار والقاطرة والسيارة والغواصة والباخرة والمطبعة الخ . ومن الواضح أن هذا الموضوع يهم واضعي المصطلحات أكثر من تعليلات الكتّاب في تضمين فعلٍ معنى فعلٍ آخر أو في نيابة حروف الجر بعضها عن بعض .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قياسية بعض أفعال المطاوعة :

علماء العربية مختلفون في اشتقاق الفعل المطاوع أهو قياسي أم هو سماعي . وقد بحث المجمع في هذا الموضوع وقرر قياسية المطاوعة في الأفعال الآتية :

مطاوِع فَعَلَ الثلاثي :

« كل فعل ثلاثي متعدٍ دال على معالجة حسية ، فمطاوعه القياسي إِنْفَعَلَ ، ما لم تكن فاء الفعل واواً ، أو لاماً ، أو نوناً ، أو ميماً ، أو راء ، ويجمعها قولك (ولنمر) ، فالقياس فيه إِفْتَعَلَ » .

ومعنى الحسية ظهور الأثر في العين كالكسر والقطع والجذب ، فيقال مثلاً كسرتُه فانكسر ، ولا يقال علمته فانعلم ولا ظننته فانظن .

أما الأفعال الثلاثية التي تكون فاء الفعل فيها أحد حروف (ولنمر) أو

(لم نرو) فمثل لأمتُ الجرحَ فالتأم لا فالتأم ، ورميتُ به فارتمى لا فارتمى ، ونفيته فانتفى لا فانْفى .

مطاوع فعَّل بتشديد العين :

« قياس المطاوعة لفَعَّل مضعف العين تَفَعَّل .

والأغلب فيما ضُعِّفَ للتعدية فقط أن يكون مطاوعُه ثلاثيَّه » .

يقال مثلاً قَطَّعْتُه فتَقَطَّعَ ، ويقال فيما ضُعف للتعدية عَلَّمته فعَلِمَ أو فتعلَّمَ .

مطاوع فاعلَ :

« فاعَلَ الذي أريد به وصف مفعوله بأصل مصدره ، مثل باعدته ، يكون قياس مطاوعه تفاعلَ كتباعَدَ » .

مطاوع فَعْلَلَ :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

« فَعْلَلَ وما أُلحق به قياس المطاوعة منه على تفعلَلَ ، نحو دحرجته وتدحرج ، وجلببته فتجلبب » .

التعدية بالهمزة :

« يرى المجمع أن تعدية الفعل الثلاثي اللازم بالهمزة قياسية » .

كأقام وأقعد من قام وقعد . وجاء في الشرح أن المجمع لم يجد أقيس ولا أخصر من التعدية بالهمزة .

صيغة استَفْعَلَ للطلب وللصيرورة :

« يرى المجمع أن صيغة استَفْعَل قياسية لإفادة الطلب أو الصيرورة » .

يغلب على هذا البناء أن يكون للطلب كاستكتبه . وكثيراً ما يدل

أيضاً على الصيرورة كاستَجمَلَ البعيرُ أي صار جملاً ، واستماه البخارُ أي استحال ماء .

ملحقات الأصول العامة :

للمجمع بهذا العنوان سبعة قرارات تفيد الذين يعنون بشؤون المصطلحات العلمية:

« الأول : يُفَضَّل اللفظ العربي على المعرَّب القديم ، إلا إذا اشتهر المعرَّب » .

ومعناه أنه يجب علينا مثلاً ترجيح الحرير على الإبْرَيْسَم المعربة قديماً ، وترجيح الحس على الفرجنة ، وعلى العكس ترجيح الباذنجان المعربة قديماً والمشهورة على الأَنَب والمَغْد العربيتين المهجورتين وهكذا . وعندي أن أموراً كهذه مردها الى الذوق والى الحاجة أحياناً .

« الثاني : يُنطق بالاسم المعرَّب على الصورة التي نطقت بها العرب » .

أي أننا نقول مثلاً أنِيسُون لا يَنْسُون ، وغرناطة لا غرينادا ، وأفسَنْتين لا أبْسَنْت .

« الثالث : تُفَضَّل الاصطلاحات العربية القديمة على الجديدة ، إلا إذا شاعت » .

أي نقول مثلاً مَعْدِنيَّات وهي اصطلاح قديم ، ترجيحاً على علم المعادن أو بحث المعادن وكلاهما اصطلاح حديث . واشتهر لدى الشاميين والعراقيين اصطلاح الفيزياء الحديث على الطبيعة أو الطبيعي وهما اصطلاحان قديمان .

« الرابع : تُفَضَّل الكلمة الواحدة على كلمتين فأكثر عند وضع اصطلاح جديد ، إذا أمكن ذلك ، واذا لم يمكن ذلك تُفَضَّل الترجمة الحرفية » .

ومعنى هذا القرار واضح . والمهم فيه وفي سائر القرارات معرفة العمل بها في معالجة كل اصطلاح علمي أعجمي يراد نقله الى العربية .

* * *

هذه هي القرارات العلمية التي وردت في الجزء الأول من مجلة مجمع اللغة العربية . وقد شرحها الفقيد الشيخ أحمد الإسكندري ، واحتج لها ، في ٩٢ صفحة على ما ذكرته في الحاشية .

أما القرارات التي جاءت في الجزء الثاني [1] فقد شرحها واحتج لها الشيخ محمد خضر حسين ، أطال الله بقاءه ، وأولها « قرار تكملة مادة لغوية ورَدَ بعضها في المعجمات ونحوها ولم ترد بقيتها » .

وهذا القرار يهم علماء اللغة أكثر من علماء المصطلحات العلمية ، ولذلك لا أتعرض له ، وبحثه طويل .

قرار النسبة إلى جمع التكسير :

« المذهب البصري في النسب الى جمع التكسير أن يُرَدَّ الى واحده ، ثم يُنسب الى هذا الواحد . ويرى المجمع أن يُنسب الى لفظ الجمع عند الحاجة كإرادة التمييز أو نحو ذلك » .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تشدد البصريون في النسب الى الجمع المكسر ، وعدوا الألفاظ المنسوبة اليه مستثناة من القاعدة . والقاعدة عندهم رد الجمع الى مفرده ثم النسب الى ذلك اللفظ المفرد .

أما الكوفيون فقد ذكر ابن بري أنهم يجيزون النسبة الى الجمع على لفظه مطلقا .

ومها يكن من أمر فالنسب الى الجمع أمر لا غنى عنه في بعض المصطلحات العلمية ، فالدُّوَلِيُّ غير الدَّوْلِيّ ، والأخلاقي غير الخُلُقي . وقال مجمع مصر أحيائي ووظائفي . وقلت في معجمي حشراتي ودواجني وبساتيني للمختصين بعلوم الحشرات والدواجن وفلاحة البساتين وهكذا .

(١) دور الانعقاد الثاني للمجمع سنة ١٩٣٥ م .

قياس صيغة مَفْعَلَة للمكان الذي يكثر فيه الشيء :

« تصاغ مَفْعَلَة قياساً من أسماء الأعيان الثلاثية الأصول للمكان الذي تكثر فيه هذه الأعيان ، سواء أكانت من الحيوان ، أم من النبات ، أم من الجماد » .

قلت : لقد صغتُ ألفاظاً عديدة على هذا الوزن ، واقتبست أيضاً من المعجمات ألفاظاً ، وجعلتها في معجمي أمام ما يقابلها من الألفاظ الفرنسية ، مثل مَلْبَنَة ومَزْبَدَة ومقشدة ومقطنة وموردة ومَرْزَة ومفرسة ومَطْيرة ومتآنة ومبقرة ومقصبة ومأصلة الخ . ولم أقدم على الصوغ من أسماء الأعيان التي تزيد أصولها على ثلاثة أحرف لأن ذلك مقصور على السماع .

قياس صيغة فَعَّال للمبالغة :

« يصاغ فَعَّال للمبالغة من مصدر الفعل الثلاثي اللازم والمتعدي » .

احتج الشيخ خضر حسين حفظه الله لهذا القرار ، وأثبت جواز قياسية فَعَّال للمبالغة ، وذلك برجوعه الى كتب الصرف ، والى كتب اللغة القديمة . واستخرج من الكتب الثانية ، أي المعجمات ، ٨٩ لفظاً على هذا الوزن كاللَّمَّاع والمَزَّاح والمَيَّاس والشَّفَّاف والعَوَّاص الخ . وكلها من الأفعال اللازمة فقط .

ومن القرارات التي وردت أيضاً في الجزء الثاني من مجلة المجمع :

« الاصطلاحات العلمية والفنية والصناعية يجب أن يقتصر فيها على اسم واحد خاص لكل معنى » .

قلت : هذا القرار لا يستطيع العمل به إلا المجمع ؛ أما واضعو المصطلحات فقد يكونون أحياناً مضطرين إلى إثبات مصطلحين ، أمام الكلمة الأعجمية

الواحدة ، ولا سيما عندما يكون كلاهما سائغاً في نظرهم . والمجمع هو الذي يجب أن ينخل المصطلحات التي يضعها العلماء للمعنى الواحد ، وأن يختار أصلحها . وموضوع توحيد المصطلحات مهم وطويل ، ولي فيه بحث مسهب .

ومما قرره المجمع في وضع كلمات الشؤون العامة :

« في شؤون الحياة العامة يُختار اللفظ الخاص للمعنى الخاص ، فإذا لم يكن هناك لفظ خاص أُتي بالعام ، ويخصَّص بالوصف أو الإضافة » .

وقرر المجمع أيضاً عرض الكلمات التي يقرها على الجمهور فقال :

« تُعرض الكلمات والمصطلحات التي يقرها المجمع سنةً على الجمهور بعد إقرارها . ويتقبل المجمع في خلال تلك السنة الانتقادات التي يعترض بها العلماء » .

وقد عدَّل المجمع رأيه في عدد من المصطلحات التي كان أقرها ، بعد أن نبهه بعض العلماء الى مصطلحات أصلح منها . وهذا يدل على تحلي أعضاء المجمع بروح علمية سامية .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

* * *

واذا انتقلنا في بحثنا هذا الى الجزء الثالث من مجلة المجمع فاننا لا نجد فيه قرارات علمية . أما الجزء الرابع [1] فهو يشتمل على قرارات في قياسية الغالب من جموع التكسير ، وأخرى في كتابة الأعلام الإفرنجية بحروف عربية ، وقرارات في كتابة الأعلام اليونانية واللاطينية بحروف عربية .

وقد احتج الشيخ أحمد الإسكندري رحمه الله لقياسية جموع التكسير ، والألفاظ الدالة على الاطراد ، فجاء بحثه الماتع في ٣٧ صفحة من الجزء الرابع من المجلة . وأول قرار في هذا الموضوع هو قرار عام يفتح للقياس باباً واسعاً ومفيداً وهو :

(١) يشتمل الجزء الثالث من المجلة على أعمال المجمع في دور انعقاده الثالث سنة ١٩٣٦ ، ويشتمل الجزء الرابع على أعماله في دور انعقاده الرابع سنة ١٩٣٧ .

الألفاظ الدالة على الاطّراد :

« يرى المجمع أن الكلمات التي يستعملها قدماء النحويين والصرفيين وهي : القياس ، والأصل ، والمطرد ، والغالب ، والأكثر ، والكثير ، والباب ، والقاعدة ألفاظ متساوية في الدلالة على ما ينقاس ، وأن استعمال كلمة منها في كتبهم يسوّغ للمحدثين من المؤلفين وغيرهم قياس ما لم يسمع على ما سمع ، وأن المقيس على كلام العرب هو من كلام العرب » .

ومن الواضح أن هذا القرار هو نتيجة للخطة التي سار عليها المجمع في قبول قياسية الأوزان التي لم يبت القدماء رأياً في قياسيتها ، بل استعملوا ألفاظاً تدل على ترجيح القياسية كالغالب والكثير والأكثر الخ . وقد شرح الاسكندري هذا الموضوع شرحاً مستفيضاً .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

جمع الكلمات التي لم تسمع جموعها :

« يرى المجمع أن الكلمة التي لم يسمع لها جمع في اللغة يختار لها صيغة جمع القلة الذي يطرد في وزنها ، واذا وجد لها صيغتان لجمع الكثرة ، مع التساوي في القوة ، اختيرا معاً . وعند التفاوت في القوة يختار جمع واحد هو أقواها ، ويكتفى بجمع واحد في المصطلحات العلمية أيّاً كان » .

وجاء بعد هذا القرار العام عدة قرارات خاصة في قياس جمع الأسماء على حسب أوزانها ، كقياس جمع الاسم الثلاثي المجرد من تاء التأنيث ، والاسم الثلاثي المزيد بتاء التأنيث ، والوصف الثلاثي ، وجمع الرباعي في حالات مختلفة ، والصيغ التي يرجح فيها جمع السلامة ، وجمع الخماسي ، واسم الجنس الجمعي . ولا يتسع المجال في بحثي هذا لذكر هذه القرارات ، وهي تفيد في معرفة جموع الألفاظ والمصطلحات العلمية الحديثة .

قرارات كتابة الأعلام الأعجمية بحروف عربية :

اتخذ المجمع في هذا الباب ستة عشر قراراً لم يتقيد الكتاب إلا ببعضها؛ ومنها ما أهمله المجمع نفسه لأسباب شتى أهمها صعوبة حمل المطابع العربية على استعمال حروف وعلامات جديدة ، على حين أن تلك المطابع تكاد تنوء بحمل ما عندنا منها .

فالقرار الأول يقضي بكتابة العلم الإفرنجي اللاطيني الأصل بحروف عربية ، على حسب نطقه في اللغة الإفرنجية ، ومعه اللفظ الإفرنجي بحروف لاطينية بين قوسين في البحوث والكتب العلمية .

قلت : إن هذا الاحتراز الأخير ضروري ولا سيما في الكتب والمجلات العلمية .

ومن القرارات المذكورة :

« جميع المعرَّبات القديمة من أسماء البلدان والممالك والأشخاص المشهورين في التاريخ التي ذُكرت في كتب العرب ، يحافظ عليها كما نُطق بها قديماً . ويجوز أن تُذكر الأسماء الحديثة التي شاعت بين قوسين ؛ وإذا اختلف العرب في نطقين رُجح أشهرهما » .

وعملاً بذلك نقول مثلاً إقريطش ومجريط ؛ ونضع الى جانبها كريد ومدريد بين قوسين لاشتهارهما . ونقول : إشبيلية وغرناطة وإفلاطون وأخلُوس لا سيويل ولا غرانادا ولا بلاطون ولا إشيل .

أما أسماء البلدان والأعلام الأجنبية التي اشتهرت حديثاً بنطق خاص وصيغة خاصة مثل باريس والإنجليز وانجلترا وغير ذلك فمن قرارات المجمع أن تبقى كما اشتهرت نطقاً وكتابةً .

وقبل المجمع إدخال الحرف (پ) ليقابل الحرف (P) الأعجمي . وقبلت اللجنة المكلفة لدراسة هذا الموضوع أن يُرسم الحرف (V) الأعجمي فاء بثلاث نقط أي (ڤ) .

وقرر كتابة الصوت الذي يقابل الحرف (O) وما يشابهه واواً إذا كان الصوت ممدوداً مثل Hood ، Wood ؛ وكتابة الحرف الإنجليزي (A) ألفاً ؛ وكتابة الحروف الإنجليزية (e) و (i) و (y) وكل ما أشبهها في النطق ياء .

ومن قرارات المجمع التي لم تشع وضع علامات على بعض الحروف العربية ، كوضع علامة أشبه بالمدة الرأسية أو الألف القصيرة الدلالة على الإمالة في مثل Seine فتكتب سٰين ؛ وكذلك توضع هـذه العلامة على الحرف السابق للواو المائلة في مثل Rome فتكتب رُومة ؛ وكذلك وضع علامة كالرقم ٨ فوق الواو لتدل على الحرف (e) الأشمّ مثل جوْتة Gœthe الخ . وكل ذلك وأشباهه لم يعمل به أحد حتى الآن .

ولم أجد أن المجمع قد استقر على رأي في رسم الحرف (G) الأعجمي وهو غمّا اليوناني . فالعرب رسمته غيناً في جوع كتبها القديمة فقالت مثلاً غرناطة وغدامس وأناغورس وهلم جرا . فوجب علينا أن نجاريهم فنقول مثـلاً غرام لا جرام ، وغلوكوز لا جلوكوز . والمجمع قد أقر رسم الحرف اليوناني غما والحرف اللاتيني (g) غيناً ، ولكنه قلما يعمل بقراره ، فتراه يرسمه جيماً ؛ والسبب أن بعض المصريين ، ومنهم سكان القاهرة والوجه البحري ، ينطقون الجيم مثلما ينطق الأوربيون الحرف (g) ، على حين أن تسعة أعشار الناطقين بالضاد جيمهم معطشة أو لينة ، وهي الجيم العربية القرشية التي تُنطق في الشام والعراق والجزيرة العربية وصعيد مصر والسودان وتونس والجزائر ومراكش . ولذلك لا يجوز أن تُقلب الأوضاع فيرسم الحرف (g) جيماً ، ويرسم الحرف (j) أو الحرف (g) الفرنسي الذي يليه أحد الحروف الصوتية (e) و (i) و (y) جيماً في وسطها ثلاث نقط أي (چ) ، وهو شذوذ رأيته في بعض الكتب المصرية .

وقد وضع المجمع ٢٣ قاعدة في كتابة الأعلام اليونانية واللاطينية بحروف عربية ، مقتفياً في عمله هذا أثر القدماء من نقلة العلوم الى العربية ، ومستعيناً ببحث مانع للدكتور أمين المعلوف ، وآخر للدكتور أحمد عيسى . وقد لخصت هذه القواعد في ست صفحات من كتاب المصطلحات العلمية الذي مر ذكره . ولا مجال لبحثها في هذا المقال .

* * *

واشتمل الجزء الخامس من مجلة المجمع على أعمال أربع دورات امتدت من أواخر سنة ١٩٣٧ حتى صيف سنة ١٩٤٢ (١) . ولم يرد في هذا المجلد إلا قليل من القرارات العلمية . وكثير منها أهملها المجمع . وها كم ما يفيد ذكره منها :

إتباع ما جرى عليه العرب في استعمال أداة التعريف :

« لم يدخل العرب أداة التعريف على الأعلام المعربة إلا إذا كان العلم اسم شعب ، أو كان له صيغة عربية ؛ لذلك يجب اتباع ما جرى عليه العرب ، وعدم إدخال أداة التعريف على الأعلام الجغرافية المعربة » .

وعلى هذا نقول مثلاً باكستان وأندونيسية بلا تعريف .

وضع صيغ عربية للمقاييس المختومة بكلمات Scope و Meter و Graph :

« نلتزم صيغة واحدة تجري عليها كلمات الجنس الواحد ؛ فما يراد به الكشف وضعنا له صيغة مِفْعال (Scope) ؛ وما يراد به القياس وضعنا له صورة مِفْعَل (Meter) وما يراد به الرسم وضعنا له صيغة مِفْعَلة (Graph) » .

قلت : هذا القيد ثقيل : ووجدت أن المجمع قلما يتقيد به في أيامنا هذه . والعلماء في هذا البحث مختلفون ؛ فريق يرى استعمال صيغ اسم الآلة دون تمييز ؛

(١) صدر الجزء الرابع سنة ١٩٣٩ ، وصدر الجزء الخامس هذا سنة ١٩٤٨ فتكون المجلة قد احتجبت تسع سنوات لمصاعب ذُكر أنه لم يكن من السهل تذليلها .

كالمجهر لا المجهار للمكرسكوب ، وقد شاعت الأولى اسماً لهذه الآلة ، أما المجهار فقد خصت بمكبر الصوت ، وفريق يرى استعمال المضاف والمضاف اليه ، وهم الكثرة ، مثل مقياس الرطوبة ، ومقياس المطر ، ومقياس الحرارة ومقياس اللبن ومقياس الحموضة الخ . وفريق ثالث يجنح الى التعريب . والبحث في مختلف الآراء طويل .

قرار ترجمة الكلمات المنتهية بـ (Able) :

« وافق المؤتمر على ما رأته لجنة مؤلفة من أعضاء المجمع من ترجمة الكلمات المنتهية بـ (Able) بالفعل المضارع المبني للمجهول ، ويترجم الاسم منها بالمصدر الصناعي ، فيقال : (يُذاب) و (يُؤكَل) و (لا يذاب) و (لا يؤكل) ، ويقال (المذوبية) و (المأكولية) » .

قلت : هذا القرار مبتسر ، فالكاسعة الفرنسية Able (ومثلها الكاسعة ible) تدل في الأفعال الفرنسية المتعدية على القابلية المنفعلة ، مثل Aimable و Faisable أي الذي يمكن أن يُحبّ أو يعمل ؛ وتدل في الأفعال اللازمة على القابلية الفاعلة ، مثل Durable و Variable أي الذي يمكن أن يدوم أو يتبدل . أما في الأسماء فهي تدل على الصفة ، مثل Charitable و Raisonnable ، أي الذي عنده إحسان أو عقل .

ففي الحالة الأولى يمكن العمل بقرار المجمع فيقال يُحَبّ ويُعْمَل ويؤكل ويُشْرَب ؛ أما في الحالة الثانية والثالثة فلا يمكن استعمال المضارع المبني للمجهول ، بل يقال شيء يدوم أو دائم ، وشيء يتبدّل أو مُتَبَدّل ، ورجل مُحسِن أو خَيِّر . ورجل يعقِل الخ .

ومن قرارات المجمع في المجلد الخامس (ص ٢٠٩) ترجمة المصدر Hyper بكلمة « فَرْط » مثل فرط الحاسّيّة Hypersensibilité ، وفرط الضغط Hypertention .

ومنها ترجمة الصدر اليوناني (A) الدال على النفي (وهو يكتب An أمام الأحرف الصوتية) بكلمة (لا) النافية مركبةً مع الكلمة العربية ، فيقال مثلاً : اللاجَفْن مقابل Ablépharie وهو فقد الأجفان ، ولاثَمَريّ Acarpe ، ولاساقيّ Acaule وهكذا . وعاد المجمع الى هذا الموضوع في المجلد السادس ص ١٧٢ فاشترط أن يوافق استعمال هذه القاعدة الذوق ، وأن لا ينفر منه السمع .

ومن القرارات الواردة في المجلد الخامس أيضاً ترجمة الكاسعة Oïde بكلمة « شبه » فيقال : شبه غرائي Colloïde ، وشبه مخاطي Mucoïde . ولكن المجمع عاد الى هذه الكاسعة فجاء في المجلد السادس ص ٧٥ أن كل كلمة أجنبية فيها هذه الكاسعة الدالة على التشبيه والتنظير تترجم في الاصطلاحات العلمية بالنسب مع الألف والنون . مثل غَرَواني وسمسماني فيما يشبه الغراء والسمسم . وأقر المجمع أيضاً استعمال هذه النسبة في المصطلحات الطبية التي تنتهي الكلمة الإنكليزية منها بحروف (Form) أو (Like) .

والمجمع يسير اليوم على هذه القاعدة . ولي عليها ملاحظات ذكرتها في ص ٦٩ — ٧٠ من كتاب المصطلحات العلمية في اللغة العربية .

* * *

وصدر الجزء السادس من مجلة المجمع سنة ١٩٥١ ، واشتمل على أعمال أربع دورات امتدت من أواخر سنة ١٩٤٢ حتى أواسط سنة ١٩٤٦ ؛ وجاء في هذا الجزء « ص ٧٥ » ، عدا التعديلات التي أشرت اليها ، قرار في قياسية أربع صيغ عربية قد يحتاج اليها واضعو المصطلحات العلمية وهي :

(١) جمع الجمع — « قرر المؤتمر أنه مقيس عند الحاجة » .

وذلك كقولهم أقوال وأقاويل ، وأعبد وأعابد ، وجمال وجمالات الخ .

(٢) جمع المصدر – « قرر المؤتمر أنه يجوز جمع المصدر عندما تختلف أنواعه » .

في الشرح: يقولون إن المصادر لا تُثنى ولا تجمع ، لأن المصدر يراد منه جنس الفعل من حيث هو ، أما إذا قُصد منه بيان العدد فقد اتفقوا على حق تثنيته وجمعه ، نحو رميته رميتين أو ثلاث رميات . فإن قُصد منه بيان النوع فقد منع جمعه بعضُ النحويين ، والمشهور عند علماء اللغة جوازه . وفي القرآن الكريم: (وتظنون بالله الظنون) .

وقال الشاعر:

ثلاثة أحباب فحبٌّ علاقةٌ وحبٌّ تملاّقٌ وحبٌّ هو القتلُ

(٣) المصدر الذي على وزن تَفْعال – « قرر المؤتمر صحة أخذه من الفعل للدلالة على الكثرة والمبالغة » .

(٤) فَعَّلَ (المضعف) – « قرر المؤتمر أنه للتكثير والمبالغة » .

وفي ص ١٧٢ من المجلد السادس عاد مؤتمر المجمع في الدورة التالية الى هذا القرار فوافق على القرار الآتي:

« لما كان نقل المجرد الثلاثي الى صيغة فَعَّلَ يفيد معنى التعدية أو التكثير أو النسبة أو السلب أو اتخاذ الفعل من الاسم ، يرى المجمع أنه يجوز استعمال هذه الصيغة ليؤدي الفعل أحد هذه المعاني عندما تدعو الحاجة الى تأديته وإن لم ينص على هذه الصيغة ، على ألاّ يقر المجمع نهائياً مثل هذه الكلمات إلا بعد تمحيصها » .

وتطبيقاً لهذا القرار وافق المؤتمر على صحة الألفاظ المستعملة الآتية:
خَدَّرَ وحَضَّرَ وردَّ وشَخَّصَ وجَسَّمَ وحَلَّلَ وشَرَّعَ .

* * *

واذا انتقلنا الى الجزء السابع من المجلة (وفيه أعمال المجمع من خريف سنة ١٩٤٦ الى أواسط سنة ١٩٤٩) فاننا لا نعثر فيه إلا على قرار واحد يفيدنا في الموضوع الذي نتكلم عليه، وهو قرار جواز النحت، فقد جاء في ص ١٥٨ من هذا الجزء :

«ألف مجلس المجمع لجنة من بعض أعضاء المجلس والمؤتمر لبحث موضوع النحت . وقد عُرض بحث اللجنة على المؤتمر فوافق بعد مناقشته على جواز النحت عندما تلجئ اليه الضرورة العلمية» .

قلت : البحث في موضوع النحت طويل، وآراء العلماء في مدى الحاجة اليه متضاربة . وللذوق والفهم شأن كبير في النحت، وكثيراً ما يكون استعمال كلمتين عربيتين أصلح من استعمال كلمة واحدة منحوتة يمجها الذوق ويستغلق فيها المعنى . ولم أنحت في معجمي إلا كلمات قليلة جداً، وكذلك مجمع اللغة العربية في مجلاته .

* * *

ولم يرد شيء من القرارات العلمية المهمة في الجزء الثامن من المجلة . وهذا الجزء صدر في سنة ١٩٥٥، وهو يحوي أعمال المجمع من سنة ١٩٤٩ الى سنة ١٩٥٢ .

ونحن حين نكتب هذا المقال نرقب صدور الجزء التاسع الذي علمنا أن طبعه قد تم أو أوشك أن يتم . ومما أعرفه شخصياً أن آخر عمل للمجمع في الموضوع الذي نتكلم عليه قرار مؤرخ في الخامس من كانون الثاني «يناير» سنة ١٩٥٦ وافق مؤتمر المجمع فيه على أربعة اقتراحات عرضتها عليه، وكلها في رسم بعض المعربات وهي :

الاقتراح الأول : كثيراً ما نضطر الى تعريب كلمات أعجمية رسمها واحد في اللغات الأوربية المشهورة ، ولكن النطق بها مختلف ، مثل Fibrine و Micron و Tulipe الخ . فهي عند الفرنسيين تُنطق بقولهم فِبرِين ومِكرُون وتُولِيب ، وهي عند الإنكليز فَيْبَرِين ومَيكرون وتيُوليب . فالمنطق الصحيح والذوق السليم يحملاننا على ترجيح النطق السهل وهو النطق الفرنسي فيما تمثلُ به من ألفاظ .

لذلك أرى من المفيد اتخاذ قرار بترجيح أسهل نطق في رسم مثل هذه الألفاظ المعربة .

الاقتراح الثاني : من القواعد التي اتخذها المجمع في الجزء الرابع من مجلته رسم الحرف (g) اللاتيني (ويقابله في اليونانية الحرف غَمّا) غيناً عربية ، جرياً مع القدماء ؛ ومع هذا ما برحت لجان المجمع ترسمه جيماً وتقتصر على الجيم وحدها . فاذا كان لا بد من مراعاة النطق القاهري لحرف جيم العربي يكون من المفيد اتخاذ قرار بأن يُرسم الحرف (g) الأعجمي ، في الكلمات التي يعربها المجمع ، جيماً وغيناً جميعاً ، وبأن لا يُكتفى بالجيم وحدها فيقال مثلاً جليسرين وغليسرين وهكذا . والأسباب معروفة لا تحتاج الى شرح .

الاقتراح الثالث : كثير من الكلمات الأعجمية التي نضطر الى تعريبها تنتهي بالحرف (A) أو بالكاسعة (Gie) الدالة على العلم . وقد لاحظت عند تعريب هذه الكلمات أن بعض الخبراء ينهون الكلمة المعربة بالتاء ، وأن بعضهم ينهونها بالألف ، مثل جيولوجية وجيولوجيا ، وبيولوجية وبيولوجيا ، ومغنولية ومغنوليا وهكذا .

ومن المعروف أن قدماء النقلة لم يسيروا على خطة واحدة في هذا الموضوع . ولكن المعربات بالتاء كانت تفوق عندهم المعربات بالألف . والسليقة العربية تجعلنا نرجح إنهاء الكلمات المذكورة بالتاء . فمن رأيي اتخاذ قرار بهذا الترجيح .

الاقتراح الرابع : في اللغات الأوربية الكبيرة عدد من الألفاظ اقتبست من العربية وحرّفت ، فعند نقل هذه الألفاظ الى العربية أرى إعادتها الى أصلها العربي فنقول مثلاً الحمراء لا ألهمبرا ، والقصر لا الكزار ، وعدنيّة لا أدينيا ، وعربيّة لا أرابيت ، وحرشف لا أرتيشو ولا أرضي شوكي العامية المحرفة عن أرتيشو وهكذا .

* * *

وبعد إن هذه الخلاصة لا تغني عن المعلومات الواسعه التي اشتملت عليها مجلة مجمع اللغة العربية في هذا الموضوع ، ولكنها - أي الخلاصة - لا تخلو من فائدة يفيدها العلماء والأساتيذ الذين يعنون بوضع المصطلحات العلمية أو تحقيقها ولا يتمكنون من الحصول في يسر على أجزاء المجلة التي يصدرها المجمع المشار اليه .

مصطفى الشهابي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

النزعة العربيـــة

في شعر حافظ ابراهيم[1]

قدم حافظ إبراهيم دمشق الشام سنة ١٩٢٩ فاحتفى به المجمع العلمي العربي وعُلِّق على صدره وسام الاستحقاق السوري وهو ينشد هذين البيتين :

شكرتُ جميل صنعكم بدمعي ... ودمع العين مقياس الشعور
لأول مرَّة قد ذاق جفني ... على ما ذاقه دمع السرور

وقال الشعراء فيه قصائدهم وأذكر أنَّ من الشعر الذي قيل فيه :

أرى رجالاً على الأهرام دبدنهم ... حلُّ الأواصر من طيٍّ وشيبان
تنكبوا عن صميم العُرب واعتصموا ... بحبل رمسيس أحدانا بأُحدان
أُعيذها خطرات ملؤها مضض ... أن تهدم الشرق أركاناً بأركان

مضى على هذا الشعر ثمانية وعشرون عاماً فتبدَّلت الأرض غير الأرض والسمواتُ .

من شهرين سألتني السفارة المصرية في دمشق أن أذكر لها عنوان الموضوع الذي وقع عليه اختياري في مهرجان حافظ إبراهيم ، وعرضتْ عليَّ الموضوعات التي اختارها أساتذة مصر الفضلاء في هذا المهرجان ، فقلت للذي كان يفاوضني في هذا الأمر : لم يُبقِ لي فضلاء مصر أفقاً أجول فيه ، فهم لم يغادروا من متردّم ، فقال لي : عليك النزعة العربية في شعر حافظ ، فوقع هذا الاقتراح مني موقعاً حسناً وأنا لم أنظر اليه لأنه نجّاني من ضيق ولكني نظرت اليه

(١) كلمة تمثل سورية في مهرجان حافظ ابراهيم في الاسكندرية الأستاذ شفيق جبري عضو المجمع العلمي العربي وقد ألقيت في تموز سنة ١٩٥٧ .

ARCHIVE

من وجه آخر ، قابلت بين هذا الشعر الذي قيل في حافظ من ثمانية وعشرين عاماً في دمشق وفيه عتاب مصر بسبب زهدها في القومية العربية وبين قول السفارة المصرية : عليك النزعة العربية في شعر حافظ وفيه اهتمام بهذه القومية ، قابلت بين هاتين الفكرتين ، فعجبت من تغير العصور ، عصر تكاد مصر تزهد فيه في النزعة العربية ، وعصر تهبُّ فيه مصر لتذكير بلاد العرب بهذه النزعة ، والحضّ على الأخذ بأسبابها ، والاستمساك بالعروة الوثقى من القومية العربية ، والإيمان بقوة هذه القومية وبمحاسن آثارها في نزاع العالم ؛ ولا أدلّ على هذه القوة من تضافر العرب يوم بور سعيد وما أدّى اليه هذا التضافر من نصر مبين .

فهل ارتجلت فكرة القومية العربية ارتجالاً في مصر وفي شعر حافظ ابراهيم ؟ ليس في الطبيعة انقلابات تفاجئ العالم مفاجأة ، فما حدث على وجه الأرض من الانقلابات في خلال العصور إنما كان نتائج علل بطيئة في سيرها ، متئدة في عملها ، فقد تتحوّل مجاري البحار ، وقد ينحدر الجليد من أعاليه الى السهول دون أن نشعر بهيجان البحار واجتياح الجليد ؛ وما يجري في الطبيعة يجري في المجتمع ولكن على تفاوت بين سرعة وسرعة .

لم ترتجل القومية العربية في مصر وفي شعر حافظ ارتجالاً ، واذا رجعنا الى طائفة من أئمة الفكر والشعر وجدنا أنهم بعثوا في أثناء القرن التاسع عشر والقرن العشرين هذه القومية من مدافنها ، وتغنّوا بحضارة العرب ، ودلّوا على روائع آثارها ، وعلّموا الناس أصول الحرية والاستقلال ؛ إذا رجعنا الى هذه الطائفة من الكتّاب والشعراء رأينا أن كتاباتهم وقصائدهم مملوءة بالقومية ، فلم تصل بلاد العرب فجأة الى حريتها واستقلالها في هذه الأيام ، وإنما مُهِّد لهذه الحرية وهذا الاستقلال ردحاً من الدهر حتى اختمرت فكرة القومية في الأذهان ، ونضج الشعور بها في القلوب ، فلمّا أمكنت الفرص اغتنمتها بلاد العرب ولم تضع مناهزها .

فلنبادر بعد هذه المقدّمة الوجيزة الى التمتع من نزعة حافظ العربية .

لست أحاول أن أضيع في شعر حافظ بين نزعاته العربية المشتتة في تضاعيف هذا الشعر ، وإنما حسبي أن أجتزئ بواحدة من هذه النزعات يكاد يظهر فيها الصفاء في أوضح مظاهره :

واهاً على دولةٍ بالأمس قد ملأت جوانب الشرق رغداً من أياديها
كم ظللتها وحاطتها بأجنحة عن أعين الدهر قد كانت تواريها
من العناية قد ريشت قوادمها ومن صميم التقى ريشت خوافيها
والله ما غالها قِدْماً وكاد لها واجتثّ دوحتها إلا مواليها
لو أنها في صميم العرب قد بقيت لما نعاها على الأيام ناعيها
ياليتهم سمعوا ما قاله عمر والروح قد بلغت منه تراقيها
لا تكثروا من مواليكم فان لهم مطامعاً بسمات الضعف تخفيها

نلمح من هذه الأبيات القوية إخلاص حافظ للعرب حبّه ، فكأنه يريدها دولة عربية لا أثر لأعجمي فيها لأنه يعلم أن نكبة العرب في كل دهر ، في قديمه وحديثه ، كانت على أيدي الأعاجم ، ففي القديم قتلوا عمر ، وكانوا سبباً في تهديم بني أمية وإضعاف بني العباس ، وفي الحديث وقفوا في سبيل حرية العرب واستقلالهم ، وما زالوا يقفون هذا الموقف نفسه .

لا أحاول أن أضيع بين هذه النزعات الصافية الخالصة ، وإنما أحبس قولي على نزعتين منها وكأنها زينة شعر حافظ العربي ورونق قلبه العربي وأريد بها تغنيه بوحدة العرب وبلغة العرب ، ففي هاتين النزعتين يظهر حافظ في حقيقته ، لا يؤثر فيهما بعض دمه التركي وإنما نفض عنه كل أثر غير أثر العرب ، وظهر في روحه العربية وقلبه العربي وشعوره العربي .

فطن حافظ إبراهيم الى منزلة الشعر في جمع الأهواء والتأليف بين القلوب فاستخدم شعره في هذه الغاية النبيلة .

لقد وقع بعض الجفاء بين المصريين وبين طائفة من الشاميين المقيمين بمصر ، وأشار الى هذا الجفاء أحد الكتاب الذين عاشوا في مصر في أوائل القرن العشرين ، وأيد ذلك قول حافظ :

لولا رجال تغالوا في سياستهم منّا ومنهم لما لمنا ولا عتبوا

فعزم جماعة من السوريين على تكريم حافظ في فندق « شبرد » فعمل حافظ قصيدته : سورية ومصر وأنشدها سنة ١٩٠٨ .

لم يقبع حافظ في مصريته الضيقة فقد كان يعلم أن هذه اللغة التي ينطق بها ثمانون مليون عربي جديرة بأن يستخدمها هو وأمثاله من الشعراء في جمع هذه الملايين المتناثرة على بقاع واحدة من الأرض . بدأ بالتأليف بين مصر والشام ، لأنه كان يعلم حق العلم كثرة التشابه بينهما ، فقد كانت أقدارهما على نحو ما ذكره أحد المؤرخين : « واحدة في عهد الدول الاسلامية وحياتها الاجتماعية متجانسة هكذا كانت مصر والشام في دولة الراشدين والدولة الأموية فالعباسية فالطولونية فالفاطمية فالأيوبية فدولة الأتراك والمماليك فدولة الجراكسة فدولة الترك العثمانية ، وكانت مصر منبعث حضارة في معظم أزمانها كما كانت في العقود الأخيرة من حياتها ملجأ ومعتصماً للأحرار ومباءة ممتازة للعلم الاسلامي تأخذ عنها الأقطار والأمصار » .

عرف حافظ إبراهيم هذا كله وعرف أن الشعر انما هو أقدر الصيغ على نزع البغضاء من الصدور وإلقاء المحبة في القلوب فقال قصيدته :

لمصر أم لربوع الشام تنتسب هُنا العُلا وهناك المجد والحسب

وأشار فيها الى اشتراك هذين القطرين العظيمين في تاريخ واحد وآلام واحدة وحب واحد :

إذا ألمّت بوادي النيل نازلة باتت لها راسيات الشام تضطرب

وإن دعا في ثرى الأهرام ذو ألم أجابه في ذرا لبنان منتحب

لو أخلص النيل والأردن ودهما تصافحت منهما الأمواه والعشب

ولم يبالغ حافظ إبراهيم في تصوير هذه الصلة المستحكمة بين مصر والشام من قديم الدهر ؛ واذا أردنا برهاناً على هذه الصلة الروحية وجدناه في اضطراب الشام يوم بور سعيد الأخير .

وكأنَّ حافظاً لم تنقع غليله هذه النفحة السماوية التي ألّف بها بين مصر والشام فأحبَّ أن يطلع على العرب بنفحة أوسع مدىً وأبعد مذهباً أوحتهـا اليه ديار الشام لما قدمها بعد أحد وعشرين عاماً ، فماذا ذكَّرته الشام ، لقد ذكَّرته بني أميـة وما اشتملت عليه خلافتهم من المحامد التي لا تبلى مجبس الليالي :

أبت أميـة أن تفنى محامدها على المدى وأبى أبناء غسّان

فمن غطارفة في جلّق نجب ومن غطارفة في أرض حوران

عافوا المذلّة في الدنيا فعندهم عزّ الحياة وعزّ الموت سيّان

لا يصبرون على ضيم يحاوله باغٍ من الإنس أو طاغٍ من الجان

فكما اتسع أفق شوقي في نزعته العربية بعد زيارته الأندلس وملء خاطره من آثار العرب في هذه الجنة الخضراء فكذلك اتسع أفق حافظ في هذه النزعة بعد زيارته الشام ، لقد أوحت الأندلس الى شوقي شعراً تأججت القومية في قلائده فقال في دمشق قصيدته الخالدة :

بنو أميـة للأنباء ما فتحوا وللأحاديث ما سادوا وما دانوا

كانوا ملوكاً سرير الشرق تحتهم فهل سألت سرير الغرب ما كانوا

عالين كالشمس في أطراف دولتها في كل ناحية ملك وسلطان

يا ويح قلبي مهما انتاب أرسُمَهم سرى به الهمّ أو عادته أشجان

بالأمس قمت على الزهراء أندبهم واليوم دمعي على الفيحاء هتّان

معادن العزّ قد مال الرغام بهم لو هان في تربه الإبريز ما هانوا

وأوحت الشام الى حافظ شعراً يوحّد به العرب :

عهد الرشيد ببغداد عفا ومضى — وفي دمشق انطوى عهد ابن مروان
ولا تسل بعده عن عهد قرطبة — كيف انمحى بين أسياف ونيران
فعلّموا كل حيّ عند مولده — عليك لله والأوطان دينان
حتم قضاؤهما حتم جزاؤهما — فاربأ بنفسك أن تمنى بخسران
النيل وهو الى الأردنّ في شغف — يُهدي الى بردى أشواق ولهان
وفي العراق به وجد بدجلته — وبالفرات وتحنان لسيحان

فهكذا نجد حافظاً قد خرج عن قومية ضيقة تضم مصر والشام إلى قومية رحبة تسع بلاد العرب ؛ فليت الله بعثه في هذه الأيام حتى يرى بعينيه أن عهد الرشيد لم يعف ببغداد ، وأن عهد ابن مروان لم ينطو في دمشق ، ليت الله بعثه حتى يرى بعينيه أثر شعره في استيقاظ العرب من رقدتهم وما أدّت اليه يقظتهم من نعمة الحرية والاستقلال .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فكما جمع شعر « هوميروس » في الماضي قلوب اليونانيين فكذلك جمع شعر حافظ في الحديث قلوب العرب ؛ واذا كانت الأسماء والصور والرموز والتقاليد التي وحّد بها شعراء الاغريق قبائلهم هي التي خلقت اتحاد الاغريق فان أشباه هذه الأسماء والصور والرموز والتقاليد في شعر حافظ ابراهيم كان لها أبلغ الأثر في وحدة العرب .

ولكن الأفق الذي لاحت منه نزعة حافظ العربية انما هو أفق اللغة ، فقد استفاضت على ما يظهر دعوة الى استعمال اللغة العامية في مصر بدلاً من الفصحى ؛ صاحب هذه الدعوة رجل من الانكليز جاء مصر وخطب في هذا الموضوع وكتب على نحو ما قرأت في خطبة من الخطب التي قيلت في تأبين حافظ ابراهيم في دمشق ، فكادت الدعوة تعمّ لولا أن وقف في وجهها شيوخ اللغة وحماتها ، وكان حافظ ابراهيم لسان أولئك الشيوخ والحماة ، فقد نشر قصيدته : اللغة

تنعى حظها بين أهلها في سنة ١٩٠٣ ، أي في مطلع القرن العشرين ، وقد كانت القومية اختمرت أقوى اختمار أو كادت على أيدي رجال الفكر والشعراء .

يقول حافظ في هذه القصيدة على لسان اللغة :

أيطربكم من جانب الغرب ناعب ينادي بوأدي في ربيع حياتي

وكأن هذا الناعب الذي ينادي بوأد اللغة وهي في ريعان شبابها انما هو الرجل الانكليزي الذي دعا الى العامية في حينه .

لو رجعنا الى عناصر هذه القصيدة لوجدنا أنها تشير الى سعة لغة العرب التي وسعت كتاب الله ، والى تقاعس العرب عن لغتهم ورميها بضيقها عن استيعاب الحضارة ومذاهبها ، والى الترحيم على الذين حفظوا لغة العرب في العابر من السنين وغاروا عليها ، والى تقريع أهلها وأبنائها من أجل هجرانها والزهد فيها ؛ وقد تضمنت القصيدة غير ذلك من النزعات التي تدل دلالة قوية على حرص حافظ على القومية العربية :

وسعتُ كتاب الله لفظاً وغاية وما ضقت عن آي به وعظات
فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة وتنسيق أسماء لمخترعات
أنا البحر في أحشائه الدرّ كامن فهل سألوا الغوّاص عن صدفاتي
فياويحكم أبلى وتبلى محاسني ومنكم وإن عزّ الدواء أساتي
فلا تكلوني للزمان فانني أخاف عليكم أن تحين وفاتي

قذف حافظ بهذا الشعر المؤثر وقد نضجت القومية كما قلت واشتد الدفاع عن لغة العرب والتغني بآثار هذه اللغة وخصائصها ، لقد صدرت قصيدة حافظ في مطلع القرن العشرين ولكن أئمة اللغة لم يقصروا في خلال القرن التاسع عشر في النهوض باللغة والمراماة دون حياضها ووضع بعض المصطلحات لما تُفتجأ به من مستحدثات الحضارة ، وإذ ذكرت أئمة اللغة الذين دافعوا عنها في مصر والشام والعراق فما ينبغي لي أن أغفل عن الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده أو عن

ARCHIVE http://archivebeta.sakhrit.com

الشدياق واليازجي وأضرابهم ، وقد بلغ من حب الشدياق للغته أنه كان لا يذكر لغة العرب إلا قرنها بصفة الشرف ، وكان يفضلها على اللغات كلها ، فجاءت قصيدة حافظ في هذا الباب خاتمة لهذه النزعة القوية التي استفاضت في القرن التاسع عشر .

وحرام أن نمرّ بهذه القصيدة دون التنبيه على فضيلة حافظ في إدراكه حقيقة اللغة ومنزلتها من الأمم ، فقد أدرك حافظ ابراهيم ان اللغة انما هي وطننا الروحي ، واذا ذهب الوطن ورسومه بقيت اللغة وآثارها ، لقد انبسط ظل الأعاجم على مصر والشام والعراق أحقاباً طويلة ، ولئن استطاعوا السبيل الى الاضطهاد فهم لم يستطيعوا أن يمنعوا شعر المتنبي والبحتري وأبي تمام عن أن يقوم مقام وطن مضطهد ، ألم تقم في الماضي لغة «هوميروس» شاعر اليونان مقام وطن اليونانيين الذين أرهقهم الاضطهاد ، اللغة إنما هي مملكة العقل الذي لا يعرف الحدود ولا الموت ، لقد أصبحت قبور الجاحظ وابن المقفع وعبد الحميد وغيرهم من أمراء البيان دوارس ، لا عين ولا أثر ، ولكن بيان هذه الطبقة من رجال العبقرية ظلّ يرتفع الى أعنان السماء حتى عصرنا هذا .

قيمة اللغة ما تعطيه البشرية فهي تموت في اليوم الذي لم يبق لها شيء نافع تعطيه ، فاللغة العربية كانت لغة ملايين من البشر ، نشأت في القفار والصحارى ، ثم أصبحت لغة دين ومثل أعلى وفتوح وبطولات ، ثم أصبحت لغة أدب بلغ في عصور العربية كل مبلغ من النضج ، ثم أصبحت لغة فلسفة وعمران واجتماع .

أدرك حافظ ابراهيم هذا كله ، أدرك أن اللغة ليست مجرّد ألفاظ وأصوات وانما هي عالم معنوي ، فاذا لم يعطها أهلها روحهم فلا تبلغ من القلوب المبالغ ؛ واللغة العربية أعطاها أئمتها في القديم كل ما ملكوه من العبقرية في مذاهب الفكر ، وأعطاها شيوخها وشعراؤها في القرن التاسع عشر والقرن العشرين مثل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هذه العبقرية فظلت خالدة على الدهر بفضل حافظ ابراهيم ونظرائه من أحباب العربية ، وستظلّ ناعمة بهذا الخلود أبد الآبدين .

هذه اللغة هي التي أحبها حافظ وصور هذا الحب في شعره أبلغ تصوير ، فنفخ فيها روحه وقلبه وأفرغ فيها عبقريته وتغنى بعظمتها وذاق محاسنها وبلا حلاوتها فنعى على أهلها تنكرهم لها ونقم عليهم تقصيرهم في رفع شأنها .

فاذا بحثنا عن النزعة العربية في شعر حافظ ابراهيم فلا نكاد نجد في شعره أبلغ من هذه النزعة وأنطق منها .

فلنمجّد الذين يواظبون على جعل العربية لغة شعر وعلم وفلسفة وتاريخ ونقد وصحافة وخطابة ، ولنمجّد الذين يحرصون على صفائها ويحولون دون شيخوختها وهرمها وحافظ إبراهيم على رأس هذه الطبقة .

سلام على مصر ! سلام على شاعرها الخالد !

شفيق جبري

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الاصطلاحات الفلسفية

-٧-

الانسجام

في اللاتينية Harmonia (وهي من اليونانية)

في الفرنسية Harmonie

في الانكليزية Harmony

الانسجام في اللغة جريان الماء ، تقول انسجم الماء والدمع ، فهو منسجم اذا انسجم أي انصب . وانسجم الكلام انتظم .

والانسجام عند البلغاء هو أن يكون الكلام لخلوه من التعقيد متحدراً كتحدر الماء المنسجم ، ويكاد ، لسهولة تركيبه ، وعذوبة ألفاظه ، وعدم تكلفه ، وحسن تأثيره في النفس ، أن يسيل رقة . واذا قوي الانسجام في النثر جاءت فقراته موزونة بلا قصد . من ذلك ما وقع في القرآن موزوناً بغير قصد ، كقوله من الكامل : والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم ، ومن البسيط : فأصبحوا لا يرى إلاّ مساكنهم ، ومن الوافر : ويخزهم وينصركم عليهم .. الخ . ومن أمثلة الانسجام الجاري من أشعار الفصحاء قول أبي تمام :

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى ما الحب إلا للحبيب الأول

وقول المتنبي :

ولو ان الحياة تبقى لحي لعددنا أضلنا الشجعانا

وإذا لم يكن من الموت بد فمن العجز أن تموت جبانا

وللانسجام عند الفلاسفة معنيان أحدهما عام والآخر خاص :

فالانسجام بالمعنى العام هو أن تنتظم أجزاء الشيء وتأتلف وظائفه المختلفة فلا تتعارض ولا تتنافر ، بل تتفق وتتجه الى غاية واحدة . فهو إذن وحدة في كثرة ، أو هو تأليف موافق ، وتركيب جميل ، وترتيب متسق .

والانسجام بالمعنى الخاص هو ائتلاف الألحان أو هو التأثير الجميل الذي يحدثه في النفس سماع عدة أصوات موسيقية في زمن واحد . وفرقوا بين الأنغام المتولدة من سماع أصوات مختلفة حادثة معاً ، والأنغام المتولدة من سماع أصوات متعاقبة ، فسموا الأولى انسجاماً أو توافقاً وائتلافاً (Harmonie) ، وسموا الثانية لحناً (ميلوديا — Mélodie) وقد يطلق الانسجام بهذا المعنى الخاص على علم الاصطحابات .

وللانسجام عند الفيلسوف (ليبنيتز Leibnitz) معنى خاص وهو الانسجام الأزلي أو التناسق الأزلي ، وهو في اللاتينية (Harmonia præstabilita) وفي الفرنسية (Harmonie préétablie) ، وفي الانكليزية (Preestablished harmony) .

والمقصود من هذا الانسجام الأزلي أن بين المنادات (Monades) ، وهي الجواهر اللامادية التي يتألف منها الكون ، انسجاماً قديماً ، فهي لا تؤثر بعضها في بعض ، ولكنها ركبت منذ الأزل بحيث تسير الواحدة منها موازية للأخرى . وعلى الرغم من تفرقها وانفصالها فهي تعمل جميعاً في توافق دقيق وانسجام تام . ان في كل (مناد) تغيرات داخلية خاضعة للحتمية المطلقة ، وهذه التغيرات منسجمة تمام الانسجام مع التغيرات الداخلية الحادثة في جميع الجواهر الأخرى . لأنها تابعة لمبدأ واحد خالق . ويشبه (ليبنيتز) هذا التوفيق ، بين استقلال الجواهر اللامادية واتساقها في نظام واحد ، بفرقة من رجال الموسيقى كل يقوم بدوره مستقلاً ، وقد أجلسوا بحيث لا يرى بعضهم بعضاً ، ومع ذلك فهم يعملون

في نَغَم منسجم ما دام كل منهم يعزف وفق المذكرة الموسيقية ، فاذا ما سمعهم مستمع في وقت واحد وجد في عزفهم تآلفاً عجيباً .

والأخلاق الانسجام عند بعض فلاسفة الأخلاق هي الأخلاق التي تدعو الى انسجام قوى النفس وانسجام المصالح الفردية في المجتمع . والانسجام عند فوريه (Fourier) هو الحالة الاجتماعية التي يسودها الاتفاق التام والسعادة الكاملة . والانسجام عند بعض علماء الاقتصاد هو النظام الطبيعي المنسجم الذي تولده الحرية (راجع Bastiat, Harmonies économiques) وهو في نظرهم أفضل من النظام الاقتصادي المقيد أو الموجَّه .

الإنشاء

في اللاتينية Constructio

في الفرنسية Construction

في الانكليزية Construction

أنشأه إنشاء رباه ، وأنشأ الله الخلق أي ابتدأ خلقهم ، وأنشأ الله السحاب رفعه ، وأنشأ داراً بدأ بناءها . قال (ابن جني) في تأدية الأمثال على ما وضت عليه : يؤدى ذلك في كل موضع على صورته التي أنشئ في مبدئه عليها ، فاستعمل الإنشاء في العرض الذي هو للكلام . وأنشأ يحكي حديثاً جعل ، وأنشأ يفعل كذا ويقول كذا ابتدأ وأقبل . وفلان ينشئ الأحاديث أي يضعها . وقال الزجاج في قوله تعالى : « وهو الذي أنشأ جنات معروشات وغير معروشات » أي ابتدعها وابتدأ خلقها . وكل من ابتدأ شيئاً فهو أنشأه ، « والمنشآت في البحر كالأعلام » هي السفن التي رَفَع قلعها ، وإذا لم يرفع قلعها فليست بمنشآت .

فالإنشاء إذن هو البناء (Construction) وهو الخلق (Création) والإيجاد ، قال ابن سينا : « واجب الوجود هو مبدع المبدعات ، ومنشئ الكل »

(الرسالة التبروزية ص ١٣٥) . ومعنى الخلق إيجاد الشيء الذي يكون مسبوقاً بمادة (راجع كلمة إبداع) . وقد يقال الإنشاء على إخراج ما في الشيء من القوة الى الفعل ، وهو كما يطلق على الكلام الذي ليس لنسبته خارج تطابقه أو لا تطابقه كذلك يطلق على فعل المتكلم أعني إلقاء الكلام الإنشائي ، ويقابله الاخبار ، وهو على نوعين إيقاعي أي موضوع لطلب المتكلم شيئاً لم يكن بعد ، وطلبي أي موضوع لطلب المتكلم شيئاً من غيره . ولهذين النوعين أنحاء مختلفة مذكورة في كتب المعاني .

والحد الإنشائي (Définition Constructive) في الرياضيات هو الحد الذي نشئ به المعنى المتصور في أذهاننا ، فاذا عرفنا العدد قلنا هو مجموع وحدات من جنس واحد ، وإذا عرفنا الخط المستقيم قلنا هو الخط الناشئ عن حركة النقطة في سمت واحد ، وإذا عرفنا المثلث قلنا هو السطح المستوي الناشئ عن تقاطع ثلاثة خطوط مستقيمة . وهكذا نشئ المعنى الرياضي كما نشئ جميع المعقولات المتصورة في الذهن دون أن ننسبها الى أشياء خارجية تطابقها أو لا تطابقها .

وقد زعم الفيلسوف (غوبلو) أن البرهان الرياضي كله هو استنتاج إنشائي (Déduction Constructive) . قال : « البرهان هو الإنشاء ، ولا برهان إلا على الأحكام الشرطية ، لأنها هي التي تدل على ضرورة العلاقة ، فاذا برهنت على أن فرضية من الفرضيات تستلزم تالياً ما أنشأت هذا التالي على أساس الفرضية » . (Goblot, Traité de Logique, p. 272) وقال أيضاً : « البرهان على أن مجموع زوايا المثلث يساوي زاويتين قائمتين يرجع الى إنشاء ثلاث زوايا جديدة معادلة لزوايا المثلث الثلاث ومساوية لزاويتين قائمتين » (المصدر نفسه ص ٢٧٤) ، وقال أيضاً : « البرهان على أن حاصل ضرب الطرفين في كل تناسب عددي مساو لحاصل ضرب الوسطين يرجع إلى إنشاء مساواة بين جدائين على أساس هذا التناسب » (المصدر نفسه ، ص ٢٧٥) .

فالبرهان الرياضي هو إذن إنشاء ينتقل فيه العقل من الخاص الى العام ، أو من العام الى الأعم ومن الجزئي الى الكلي ، وهو مصحوب بمشاهدة منطقية ذات صفة ضرورية .

الانفعال

في اللاتينية	Affectus, Affectio
في الفرنسية	Affection
في الانكليزية	Affection

انفعل مطاوع فعل ، تقول فعلت الشيء فانفعل كقولك كسرته فانكسر . وقد أطلق في اللغة العربية أولاً على احدى مقولات أرسطو (ان ينفعل – Passion) ، وهو ضد مقولة الفعل (ان يفعل – Action) . قال ابن سينا : الانفعال « هو نسبة الجوهر الى حالة فيه بهذه الصفة كالتقطع والتسخن » (النجاة ص ١٢٨) ، وقال الغزالي : الانفعال « هو نسبة الجوهر المتغير الى الجوهر المغير ، فان كل منفعل فعن فاعل ، وكل متسخن ومتبرد فمن مسخن ومبرد بحكم العادة المطردة عند أهل الحق ، وبحكم ضرورة الجبلة عند المعتزلة والفلاسفة . والانفعال على الجملة تغير ، والتغير قد يكون من كيفية الى كيفية مثل تصير الشعر من السواد الى البياض ، فانه غيره الكبر على التدريج وصيره من السواد الى البياض قليلاً قليلاً بالتدريج ، ومثل تصير الماء من البرودة الى الحرارة فانه حينما يتسخن الماء تحسر عنه البرودة قليلاً قليلاً وتحدث فيه الحرارة قليلاً قليلاً على الاتصال ... وعلى الجملة لا فرق بين قولك ينفعل وبين قولك يتغير . وأنواع التغير كثيرة وهي أنواع الانفعال بعينه » (الغزالي : معيار العلم ، ص : ٣٠٩ — ٣١٠) ، وقال الجرجاني : الانفعال هو « الهيئة الحاصلة للمتأثر عن غيره بسبب التأثير أولاً كالهيئة الحاصلة للمنقطع ما دام منقطعاً » (التعريفات) .

فالانفعال إذن هو التأثر ، وقبول الأثر ، (راجع الفاعل والمنفعل والقابل) ، ولكل فعل انفعال ، إلا الإبداع الذي هو من الله فهو إيجاد عن عدم ، لا في مادة وجوهر .

ومن معاني الانفعال : «انه شيء يجري على خلاف ما يجري به الأمر الذي هو بالتمييز والفكر» (أبو حيان التوحيدي ، المقابسات ٩١ ، ص ٣١٥) . وهذا المعنى قريب من معاني الانفعال في الفلسفة الحديثة ، فنحن نطلق الانفعال في أيامنا هذه على كل تغير نفسي لا ينفصل عن المدرك انفصال الكيفيات الخارجية عنه . وله عندنا عدة معان :

١ — الانفعال تغير في الحساسية ناشئ عن سبب خارجي . ان هذا التغير مبني على النزوع ومختلف عنه . قال (لاشليه Lachelier) : «ان الشعور بالانفعال ينطوي على الشعور بالنزوع الذي يحدث ذلك الانفعال ، ولكن هذا النزوع لا يظهر لنا إلا بواسطة الانفعال» (Psychologie et Métaphysique, p. 137) وفي هذا القول إشارة الى توقف الانفعال على النزوع من جهة واختلافه عنه من جهة أخرى .

٢ — الانفعال هو الشعور باللذة والألم ، وهما حالتان نفسيتان أوليتان على عكس الهيجانات (الخوف والغضب والأمل) التي هي حالات نفسية مركبة من الناحيتين النفسية والعضوية .

٣ — والانفعال هو ميل انتخابي أقل شدة وانتظاماً من الهوى ، وأقل ارتباطاً بالعوامل العضوية .

٤ — والانفعال أخيراً هو مجموع الأحوال والنزعات الانفعالية . يقول اوغوست كونت «ان وجودنا الأدبي لا يستدعي وحدة حقيقية إلا بقدر ما يسيطر الانفعال على الفكر والعمل معاً» (Auguste Comte, Discours préliminaire, Pol. pos. I, 15) وهذا كله يدل على أن معنى الانفعال في الفلسفة الحديثة

لا يزال غير محدد فهو يدل عند بعضهم على الاستعداد أو الحال أو التغير سواء أكان سببه خارجياً أم داخلياً ، وهو يدل عند بعضهم على جميع التغيرات الوجدانية أو العقلية ، وتدل كلمة أهواء (Affectus أو Passions) عند (اسبينوزا) على انفعالات الجسم التي تزيد قدرته على العمل أو تنقصها . ويرى ديكارت أن من صفة الانفعال في حالة العشق أن العاشق يحترم معشوقه أقل مما يحترم نفسه ، وان من صفته في حال الصداقة أن الصديق يحترم صديقه بقدر ما يحترم نفسه ، وان من صفته في حال العبادة أن العابد يحترم معبوده أكثر مما يحترم نفسه . ويرى (ريبو) أخيراً ان الانفعالات ميول إيجابية أو سلبية . وهذا الاختلاف في معاني الانفعال يدعونا الى تحديد مدلوله في اصطلاحنا ، فهو يدل عندنا على جميع الكيفيات الشعورية المتولدة من النزعات كاللذات والآلام والهيجانات ونحن نسمّي هذه الكيفيات بالأحوال الانفعالية (Etats Affectifs) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الظواهر الانفعالية (Les phénomènes affectifs) : الانفعاليات عند الحكماء هي الكيفيات المحسوسة الراسخة كصفرة الذهب ، والانفعالات هي الكيفيات المحسوسة الغير الراسخة كصفرة الوجل : والظواهر الانفعالية هي الظواهر المقابلة للظواهر الفكرية أو العقلية . ان جميع الظواهر النفسية منسوبة الى الانا ولكن بعضها يبدو تابعاً للنفس تبعية تامة بحيث لا تستطيع أن تتصوره منفصلاً عنها ، وبعضها الآخر يبدو مستقلاً عن النفس كاستقلال الشيء الخارجي عن الأنا . فالظواهر الأولى انفعالية والثانية عقلية أو فكرية . انك تستطيع أن تتصور المعاني (كالانسان والفرس) والأحكام (كقولك الثلج أبيض) مستقلة عن العقل الذي يعقلها ، ولكنك لا تستطيع أن تتصور الألم إلا في نفس المتألم . إذا تأثر أحد أعضاء الحس نشأ عن ذلك ظاهرة ذات وجهين أحدهما انفعالي والآخر فكري ، فالوجه الانفعالي هو الكيفية النفسية أو التغير

الذي يحدث في المدرك ، وهو لا يختلف عن المدرك ولا ينفصل عنه ، بل المدرك الذي يحس برائحة الورد يصبح هو نفسه تلك الرائحة . أما الوجه العقلي فهو الكيفية المحسوسة المستقلة عن المدرك ، وهي ماثلة أمامه يراها كما ترى العين مرئياتها . ونحن نطلق لفظ الاحساس على الوجه الانفعالي ولفظ الحدس على الوجه الفكري ، ولا مشاحة في الألفاظ . والفرق بين الظاهرة الانفعالية والتأثر المحض أن الظاهرة الانفعالية مصحوبة برد فعل يعبر به المدرك عن تأثره في حين ان التأثر المحض لا يستلزم مثل هذا الرد . ويطلق اصطلاح الذاكرة الانفعالية (Mémoire affective) على تذكّر الانفعالات القديمة ، فقد يتذكر الإنسان آلامه ومخاوفه ، وقد يتذكر غمه وقلقه وأمله ، وقد تغرورق عيناه بالدموع عند تذكر موت صاحبه .

راجع لالاند : (Lalande, Vocabulaire technique et critiques de la philosophie, art. affection) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الإِنِّيَّة

في اللاتينية	Ecceitas, Hæcceitas
في الفرنسية	Eccéité, Hæccéité
في الانكليزية	This - ness

الإنّية اصطلاح فلسفي قديم . زعم أبو البقاء أنه مشتق من (إنَّ) التي تفيد في اللغة العربية التأكيد والقوة في الوجود (راجع ان وبرهان الأن) . قال ولهذا « أطلقت الفلاسفة لفظ الإنّية على واجب الوجود لذاته لكونه أكمل الموجودات في تأكيد الوجود وفي قوة الوجود ، وهذا لفظ محدث ليس من كلام العرب » (كليات أبي البقاء) . وزعم بعض المحدثين أن الإنّية لفظ معرب عن كلمة (اين) اليونانية التي معناها كان أو وجد . واختلفوا في ضبط

هذه الكلمة فقرأها بعضهم آنية (كما في تعريفات الجرجاني)، وهو خطأ، لأن الآنية نسبة الى الآن، وقرأها بعضهم (أَنِّية) نسبة الى انا المخففة، وضبطها آخرون بالأينية والأيِّية وهذا كله خطأ، لأن الأينية نسبة الى الأين والأيِّية نسبة الى (أي). وربما كان رأي أبي البقاء أقرب الآراء الى الصواب، لأنه يقول ان هذا اللفظ محدث وانه ليس من كلام العرب، ولكنه يجد له في (إنَّ) أصلاً ومخرجاً. ونعتقد ان اشتقاق هذا اللفظ من (إنَّ) لا يمنع أن يكون بينه وبين (اين) اليونانية تشابه، بل ربما كان هذا التشابه بين (إنَّ) العربية و (اين) اليونانية هو السبب في اشتقاق لفظ الانية من (إنَّ) للدلالة على معنى الوجود.

فالإنِّـية إذن هي الوجود. والدليل على ذلك قول الجرجاني في تعريفاته: «الإنِّية هي تحقق الوجود العيني من حيث مرتبته الذاتية» (ضبطت هـذه الكلمة في النسخة المطبوعة هكذا: الآنية، وهذا خطأ)، وقول صاحب دستور العلماء: «الإنِّية التحقق، وتحقق الوجود العيني من حيث مرتبته الذاتية» (راجع مصطفى عبد الرازق في كتابه تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية ص ٦٦)، وقول الكندي: «ولسنا نجد مطلوباتنا من الحق من غير علة، وعلة وجود كل شيء وثباته الحق، لأن كل ما له إنِّية له حقيقة، فالحق اضطراراً موجود إذن لإنِّيات موجودة» (رسائل الكندي الفلسفية، نشرها عبد الهادي أبوريده، ص ٩٧)، وقول ابن سينا: «من رام وصف شيء من الأشياء قبل أن يتقدم فيثبت أولاً إنِّيته فهو معدود عند الحكماء ممن زاغ عن محجة الإيضاح» (رسالة القوى النفسانية ص ١٥٠ من طبعة الأهواني). وقوله: «فلا ماهية لواجب الوجود غير انه واجب الوجود، وهذه هي الإنِّية» (الشفاء، جزء ٢، ص ٥٨٠). ومما يدل على أن المراد بالإنِّية هو الوجود قول الغزالي: «الإنِّـية التي هي عبارة عن الوجود غير الماهية، ولذلك يجوز أن يقال ما الذي

جعل الحرارة موجودة ، وما الذي جعل السواد في الحيّز موجوداً ، ولا يجوز أن يقال ما الذي جعل السواد لوناً ، وما الذي جعله سواداً . ويعرف تغاير الإنّيّة والماهية بإشارة العقل لا بإشارة الحس كما يعرف تغاير الصورة والهيولى » (مقاصد الفلاسفة ، طبعة مصر ص ١٠٥ — ١٠٦) . فهذا القول يدل على أن الإنّيّة هي الوجود ، لا الماهية ، وان التغاير بينها وبين الماهية إنما يدرك بإشارة العقل لا بإشارة الحس ، والغزالي يضيف على ذلك قوله إن الماهية لا تقتضي الوجود ، وإن الوجود إنما يعرض لها بعلة ، إذ ليس الوجود لها من ذاتها (الغزالي ، مقاصد الفلاسفة ، ص ١٠٦) ، فالإنّيّة إذن هي الوجود ، والوجود غير الماهية .

ومما يثبت ان الإنّيّة عند أهل الإسلام هي الوجود قول المقدسي : « واختلف أهل الإسلام ... فأنكر كثير منهم القول بالأبنية (كذا وأظنها الإنّيّة) والمائية (كذا وهي الماهية) ولا يخلوان من أن يكونا اياه أو غيره أو بعضه ، فإن كانا غيره أو بعضه انتقض التوحيد . وإن كانا إياه فهو إذن أشياء كثيرة . وقال ضرار بن عمرو وأبو حنيفة رضي الله عنهما له أبنية (كذا) ومائية ، لأنه لا يكون شيء موجود إلا وله أبنية (كذا) ومائية ، وعلة الأبنية (كذا) غير علة المائية . وذلك انك تسمع الصوت فتعلم أنَّ له مصوتاً وتجهل ما هو ، ثم تراه بعد ذلك فتعلم ما هو ، فعلمك ما هو غير علمك بأبنيته (كذا) . ومعنى المائية عندهما أنه يعلم نفسه بالمشاهدة لا بدليل كما نعلمه » (المقدسي ، كتاب البدء والتاريخ ، جزء ١ ص ٨٤ — ٨٥) .

فأنت ترى أن جميع هذه النصوص تثبت ان الانية هي الوجود .

ومما يزيد هذا المعنى وضوحاً ان الكندي قرن معنى الانية بمعنى الفصل والخاصة ، فقال : « والفصل هو المقول على كثير مختلفين بالنوع منبئ عن أبنية الشيء (كذا وأظنها الانية) فهو مقول على كل واحد من أشخاص الأنواع

التي يقال عليها الفصل منبيء عن أيّيتها (كذا) » (رسائل الكندي الفلسفية ، ص ١٢٩) ، وقال : « والخاصة هي المقولة على نوع واحد وعلى كل واحد من أشخاصه منبئة عن إنّيّة الشيء ، وليس بجزء لما أنبأت عن إنّيّته » (المصدر نفسه ص ١٣٠) ، وفي أقواله هذه شيء من الغموض كما ترى إلا ان مقارنة هذه الأقوال بما قاله الفارابي وابن سينا بعده يزيد معناها وضوحاً . فمما قاله الفارابي « الفصل لا مدخل له في ماهية الجنس ، فان دخل ففي إنّيّته ، أعني أن طبيعة الجنس تتقوم بالفعل بذلك الفصل ، بل المقوم بالفصل هو الحصول في الأعيان ذاتاً موجودة قائمة بذلك الفصل كالحيوان مطلقاً إنما يصير موجوداً بأن يكون ناطقاً وأعجم ، لكنه لا يصير له ماهية الحيوان بأنه ناطق » (فصوص الحكم ، ص ٦٧ — ٦٨) ، ومما قاله ابن سينا : « فيكون كل لفظ كلي ذاتي إما دالاً على ماهية أعم ويسمى جنساً ، وإما دالاً على ماهية أخص ويسمى نوعاً ، وإما دالاً على إنّيّة ويسمى فصلاً » (ابن سينا ، الشفاء ، المنطق ، المدخل ، ص ٤٦) ، ومما قال أيضاً : « ان الذاتي الدال على الماهية يقال له المقول في جواب ما هو ، والذاتي الدال على الإنّيّة يقال له : المقول في جواب أي شيء هو في ذاته أو أي ما هو » (المصدر نفسه ص ٤٦) ، والمقول في جواب أي شيء هو انما هو الفصل كالناطق للانسان فهو الذي يدل على انية الشيء ومرتبته الذاتية بالنسبة الى غيره من أنواع الحيوان وهو الذي يدل على تحقق وجوده العيني والفردي . ونعتقد ان قلب الإنّيّة الى أيّيّة في بعض النصوص إنما نشأ عن كون الفصل مقولاً في جواب أي شيء هو . والمترجم الذي نقل كلام ابن سينا الى اللغة اللاتينية ترجم لفظ الإنية الوارد في النص الأول بـ (qual ess) ولفظ الإنّيّة الوارد في النص الثاني بـ (qual quid) ، مع ان المراد باللفظين شيء واحد ، وهو تحقق الوجود العيني من حيث مرتبته الذاتية . وهذا التحقق لا يتم إلا بالفصل وما يلحق

لم، ان كلمة (إنّيتها) الواردة في كلام ابن سينا وكلمة (انيتي) الواردة في كلام السهروردي تدلان على الانا ، ولكن هذا (الانا) الذي تشيران اليه انما هو الانا الوجودي ، فالانية اذن هي الوجود ، فإذا أطلقتها على الانا الوجودي أمكنك أن تقرأها (أنّية) واذا أطلقتها على كل وجود عيني متحقق أمكنك أن تضبطها بإنّية . والمعنى الأول أخص والثاني أعم . ولكن الانية عند بعض المتصوفين لا ترتبط بالأنا الا بالنسبة الى الذات الإلهية لقوله تعالى : إني أنا الله لا إله إلا أنا ، (انظر كتاب الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل لعبد الكريم الجيلاني ص ٥٩ — ٦٠ ، ورسائل الكندي الفلسفية ، لعبد الهادي أبو ريدة ص ١٠١) .

الأول

في اللاتينية Primarus, Primus

في الفرنسية Premier

في الانكليزية First, Former, Early, Prime

الأول هو المتقدم ، وهو الذي ليس قبله شيء ، وله استعمالان أحدهما أن يكون اسماً فينصرف ، ومنه قولهم : ماله أولٌ ولا آخرٌ . والثاني أن يكون صفة أي أفعل تفضيل بمعنى الأسبق فيعطى له حكم غيره من صيغ أفعل التفضيل من دخول من عليه ومنع الصرف وعدمه . قال الجرجاني في تعريفاته : «الأول فرد لا يكون غيره من جنسه سابقاً عليه ولا مقارناً له» فقيّد تقدم الأول على غيره باضافته الى جنسه ، ولذلك قال المحققون لا يقال الله أول الأشياء ولا أول كل شيء ، لأنه لا يوافقها ولا هو مثلها . فاذا استعملنا الأول في حق الله باعتبار ذاته فان ذلك يعني أنه تعالى لا تركيب فيه ، وانه المنزه عن العلل ، وانه لم يسبقه في الوجود شيء ، وانه لا يحتاج الى

غير ان كلمة (إنّيّتها) الواردة في كلام ابن سينا وكلمة (انيتي) الواردة في كلام السهروردي تدلان على الانا ، ولكن هذا (الانا) الذي تشيران اليه انما هو الانا الوجودي ، فالانية اذن هي الوجود ، فإذا أطلقتها على الانا الوجودي أمكنك أن تقرأها (أنّيّة) واذا أطلقتها على كل وجود عيني متحقق أمكنك أن تضبطها بإنّيّة . والمعنى الأول أخص والثاني أعم . ولكن الانية عند بعض المتصوفين لا ترتبط بالأنا الا بالنسبة الى الذات الإلهية لقوله تعالى : إني أنا الله لا إله إلا أنا ، (انظر كتاب الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل لعبد الكريم الجيلاني ص ٥٩ — ٦٠ ، ورسائل الكندي الفلسفية ، لعبد الهادي أبو ريدة ص ١٠١) .

الأول

في اللاتينية Primarus, Primus

في الفرنسية Premier

في الانكليزية First, Former, Early, Prime

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

الأول هو المتقدم ، وهو الذي ليس قبله شيء ، وله استعمالان أحدهما أن يكون اسماً فينصرف ، ومنه قولهم : ماله أولٌ ولا آخرٌ . والثاني أن يكون صفة أي أفعل تفضيل بمعنى الأسبق فيعطى له حكم غيره من صيغ أفعل التفضيل من دخول من عليه ومنع الصرف وعدمه . قال الجرجاني في تعريفاته : «الأول فرد لا يكون غيره من جنسه سابقاً عليه ولا مقارناً له» فقيّد تقدم الأول على غيره باضافته الى جنسه ، ولذلك قال المحققون لا يقال الله أول الأشياء ولا أول كل شيء ، لأنه لا يوافقها ولا هو مثلها . فاذا استعملنا الأول في حق الله باعتبار ذاته فان ذلك يعني أنه تعالى لا تركيب فيه ، وانه المنزه عن العلل ، وانه لم يسبقه في الوجود شيء ، وانه لا يحتاج الى

غيره . و « هو الأول والآخر » (قرآن كريم ٥٧ – ٣) ، وتفسير الأول في صفة الله عز وجل أنه الأول ليس قبله شيء والآخر ليس بعده شيء . ولا اشكال في استعمال الأول في حقه لأنه كما قال (الفخر) أول لكل ما سواه وآخر لكل ما سواه ، فيمتنع أن يكون له أول وآخر لامتناع كونه أولاً لأول نفسه وآخراً لآخر نفسه ، بل هو أزلي لا أول له ، وأبدي لا آخر له ، لا بل هو الآخر الذي ترجع اليه جميع الموجودات في سلسلة الترقي وسلوك السالكين (كليات أبي البقاء) .

وللأول في اصطلاحنا عدة معان :

١) الأول هو المتقدم بالزمان — وهو يدل على الأقدم في التتابع الزماني ، وعلى المتقدم في ترتيب بعض الجمل ، مثال ذلك قولنا العصر العباسي الأول ، وحروف الهجاء الأولى ، قال آرسطو : « يقال قبل في الزمان ... وهو ما كان أبعد من الآن مثل حروب (اطروا) قبل حروب (ميديا) لأن حروب (اطروا) هي أبعد من الآن ، ويريد ان ما كان قبل في الزمان الماضي هو ما كان أبعد من الآن الحاضر مثل قولنا ان حرب الجمل كانت قبل حرب صفين » (ابن رشد ، تفسير ما بعد الطبيعة ، جزء ٢ ص ٥٧١) .

٢ – الأول هو المتقدم في المرتبة المنطقية — وهو كتقدم المبدأ على النتيجة وتقدم البديهيات على النظريات ، ومن الأمثلة على ذلك المعاني التي لا يحتاج إدراكها الى معرفة المعاني الأخرى ، والقضايا التي لا تستطيع استنتاجها من قضايا أخرى . فهي أولية من الناحية المنطقية لاستغنائها عن غيرها . وللأول من الناحية المنطقية ثلاثة وجوه : الوجه الأول – هو النظر الى الأساس الذي يستند اليه العلم ، فباعتبار هذا الأساس يمكننا أن نقول ان الأول هو الذي لا يستطيع العقل أن يضعه موضع الشك لوضوحه وصدقه وبداهته ولكونه بهذا الاعتبار يصلح لتعليل غيره من الحدود ويضمن صدق القضايا الأخرى المستنتجة

منه كالمبادئ الأولى (Premiers principes) أو الأوليات ، فان العقل اذا توجه اليها لم يفتقر الى شيء أصلاً من حدس وتجربة أو غير ذلك كقولنا الواحد نصف الاثنين والكل أعظم من الجزء ، فان هذين الحكمين لا يتوقفان إلا على تصور الطرفين ، والمراد بتصور الطرفين ما هو مناط الحكم ، فاذا حصل هذا التصور لم يتوقف الحكم على شيء آخر أصلاً بشرط سلامة الغريزة وقد تسمى الاوليات بالبديهيات ، وهي قسم من المقدمات اليقينية الضرورية . والوجه الثاني — هو التنظيم المنطقي للحقائق الاستنتاجية ، فالأول بهذا الاعتبار هو الحكم أو الحد الذي نقدمه على غيره في سلسلة الاستنتاج لوضوحه أكثر من غيره بل لكونه مبدأ للأحكام الأخرى ، فقد يكون الحكم خفياً لخفاء في تصور طرفيه ولكننا نقدمه على غيره في سلسلة الاستنتاج لأنه أساس ومبدأ لجميع الأحكام الأخرى . والوجه الثالث — هو التحليل ، فان الأول هنا هو الذي يطلق على الحد الأخير في التحليل العقلي ؛ فهو أول لأن التحليل لا يكشف لنا عن حد قبله مثال ذلك إذا كان مطلوبنا البرهان على قضية من قضايا الهندسة كان التحليل العقلي عبارة عن ربط هذه القضية بقضية أو عدة قضايا أبسط منها ، فتكون القضية البسيطة مبدأ وتكون القضية المبرهن عليها نتيجة لها ، ويقوم هذا التحليل على تأليف سلسلة من القضايا أولها القضية المراد إثباتها ، وآخرها القضية المعلومة ، فاذا مررت من الأولى الى الأخيرة كانت كل قضية نتيجة للتي بعدها وكانت القضية الأولى نفسها نتيجة للقضية الأخيرة وصادقة مثلها . فالقضية المراد إثباتها هي الأولى في الزمان والقضية الأخيرة المعلومة هي الأولى في الترتيب المنطقي .

٣ — الأول من الناحية النفسية — وهو الذي يكون نقطة الابتداء الواقعية (Terminus a quo) في تأليف الحكم أو الاستدلال ، أو في النمو التكويني أو التداعي .

٤ — الأول من الناحية الوجودية أو الفلسفية — وهو الذي يكون سبب وجود الشيء وعلته الغائية والفاعلة ، كقولنا : المحرك الأول ، أو المبدأ الأول ، أو الواجب الوجود بذاته . قال (سسّه ـ Saisset) : « يقال ان الله أول الموجودات ، فهو إذن أول الحقائق . وكما يقال في ترتيب الأشياء إن كل شيء يجيء من الله ، وانه هو نفسه لا يجيء من شيء ، فكذلك يقال في ترتيب الأفكار ان جميع المبادئ تستنتج من الله وأنه هو نفسه مبدأ نفسه » Manuel de Philosophie d' A. Jacques, J. Simon, et Saisset,) . (Théodicée I, 1

٥) الأول هو المتقدم بالشرف والقيمة — يطلق الأول بالشرف على الأعلى والأهم والأميز فتقول هذا عقل من الطراز الأول ، وهذا الرجل أول الرجال ، وهذه المرتبة هي الأولى ، قال ابن رشد : « يقال الرئيس قبل المرؤوس لكون الرئيس أقوى من المرؤوس وأعلى مرتبة منه » (تفسير ما بعد الطبيعة ج ٢ ص ٥٧٢) .

* * *

ذكر ابن رشد في تفسير أقوال أرسطو ستة وجوه للمتقدم والمتأخر أحدها المتقدم بالزمان ، والثاني المتقدم في المرتبة ، والثالث المتقدم بالشرف ، والرابع المتقدم بالطبع ، والخامس المتقدم بالسببية ، والسادس المتقدم في المعرفة . وفي كتاب المقولات لأرسطو ايضاح لكل واحد من هذه الأقسام فليرجع اليه (راجع أيضاً : ابن رشد ، كتاب ما بعد الطبيعة ، وهو القسم الرابع من تلخيص مقالات أرسطو ، ص ١٥ ، وتفسير ما بعد الطبيعة ج ٢ ، ص ٥٧٦ ـ ٥٧٧ من طبعة بويج ـ Bouyges) .

الإيجاب

في اللاتينية Affirmatio

في الفرنسية Affirmation

في الانكليزية Affirmation

الإيجاب لغة الإثبات ، يقال وجب الشيء يجب وجوباً أي ثبت ولزم ، وأوجبته إيجاباً ، وأوجب الشيء صيره واجباً ، وأوجب البيع ألزمه ، وأوجب لفلان حقه راعاه ، يقال قد فعلت ذلك إيجاباً لحقه .

والإيجاب في اصطلاحنا « هو ايقاع النسبة وإيجادها ، وفي الجملة هو الحكم بوجود محمول لموضوع » (ابن سينا ، النجاة ص ١٨) ، وهو نقيض السلب (Négation) ، (راجع هذه الكلمة) ، كما ان الاثبات نقيض النفي . « والايجاب يستدعي وجود الموضوع ، والسلب لا يستدعيه بمعنى أن الموجبة اذا كانت خارجية وجب وجود موضوعها محققاً ، وان كانت حقيقية وجب وجود موضوعها مقدراً ، والسالبة لا يجب فيها وجود الموضوع على ذلك التفصيل » (كليات أبي البقاء ، الإيجاب) .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وليس في الإيجاب زيادة ولا نقصان لأنه لا وسط بينه وبين السلب ، فإما أن يكون الحكم موجباً ، وإما أن يكون سالباً ، بل الإيجاب والسلب لا يجتمعان في الشيء الواحد ، وهذا نتيجة لمبدأ عدم التناقض .

وفرقوا بين الإيجاب والتصديق فقالوا الإيجاب مطلقاً هو ايقاع النسبة بين المحمول والموضوع ، أما التصديق فهو إيقاع النسبة أو رفعها ، وهو نقيض الشك ، أو نقيض التوقف عن الحكم ، وله درجات ويكون إيجاباً أو سلباً . فالإيجاب أخص والتصديق أعم (راجع كلمة تصديق) .

ومن معاني الإيجاب أنه مقابل للاختيار ، لأن المختار إن شاء فعل ، وإن لم يشأ لم يفعل ، وهو الذي يصح منه الفعل والترك . أما الإيجاب فانه غير متصور في حقه تعالى لأنه يوجب عليه الفعل ويمنعه من الاختيار . ومع ذلك فبعض فلاسفتنا القدماء يعتقدون أن الايجاب صفة كمال بالنسبة الى الله ، لأنهم يقولون أن مبدأ العالم موجب بالذات . والظاهر أن مرادهم من الايجاب أن الله قادر على أن يفعل ويصح منه الترك إلا أنه لا يترك البتة ، ولا ينفك عن ذاته الفعل ، لا لاقتضاء ذاته إياه بل لاقتضاء الحكمة إيجاده ، فكان إذن فاعلاً عندهم بالمشيئة والاختيار أيضاً ، فهم يدعون الكمال في الايجاب لا على معنى الاضطرار الذي يجعل الفاعل غير قادر على الترك بل بمعنى أن هذا الإيجاب إذا اقترن بالحكمة لا يحول دون وصفه تعالى بالاختيار . والمعتزلة مع ايجابهم على الله ما أوجبوه قائلون بكونه مختاراً بلا خلاف منهم . والفارابي وابن سينا يطلقان على الله اسم واجب الوجود ويقولان بصدور الموجودات عنه على سبيل الفيض . وقد ذكر (مرزا شاهد) في حاشية شرح المواقف ان الايجاب على أربعة أنحاء . (راجع التهانوي ، الكشاف) .

١ — الأول وجوب الصدور نظراً الى ذات الفاعل من حيث هي بقطع النظر عن إرادة الفاعل وغاية الفعل .

٢ — والثاني وجوب الصدور نظراً الى ذات الفاعل بأن تكون الإرادة والغاية عين الفاعل مع قطع النظر عن الخارج ، وهذا محل الخلاف بين الفلاسفة والمتكلمين .

٣ — والثالث وجوب الصدور نظراً الى إرادة الفاعل والمصلحة المترتبة على الفعل وهذا محل الخلاف بين الأشاعرة والمعتزلة .

٤ — والرابع وجوب الصدور بعد الاختيار .

ومن معاني الايجاب التلفظ الذي صدر عن أحد العاقدين أولاً من أي جانب كان ، وقد سمي ايجاباً لأنه موجب لوجود العقد اذا اتصل به القبول (Acceptation) ، والقبول عبارة عن لفظ صدر عن الآخر ثانياً .

والقضايا الموجبة (Propositions affirmatives) في المنطق إما أن تكون كلية وإما أن تكون جزئية . فالموجبة الكلية (Universelle affirmative) هي التي يكون الحكم فيها ايجاباً على كل واحد من الموضوع كقولنا : كل إنسان حيوان ، والموجبة الجزئية (Particulière affirmative) هي التي يكون الحكم فيها ايجاباً ولكن على بعض من الموضوع كقولنا : بعض الناس كاتب .

(راجع : قضية ، وحكم ، ونفي ، وإثبات) .

(يتبع) جميل صليبا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الحاجة إلى استعراض جديد

لمكتبة الأدب العربي

إنّ الأدب العربي قد أصيب بمحنة أصيب بها أدب كل أمة ، وهي محنة تكاد تكون طبيعية ومُطّردة للآداب واللغات ، إلا أنّ آجالها تختلف ، فقد يطول أجل هذه المحنة في أدب قوم ، ويقصر في أدب قوم آخرين ، وذلك يرجع إلى الأحوال الاجتماعية والعوامل السياسية ، وحركات الإصلاح والتجديد ، والبعث الجديد ، فإذا توفّرت في أمّة ، قصر أجل هذه المحنة ، واذا فُقِدَت أو ضعفت طال أمد هذه المحنة ، وطال شقاء الأدب والأمة بها .

إنّ هذه المحنة هو تسلّط أصحاب الصناعة والتكلّف على هذا الأدب ، الذين يتخذونه حرفة وصناعة ، ويحتكرونه احتكاراً ، ويتنافسون في تنميقه وتحبيره ، ليُثبتوا به براعتهم وتفوّقهم ، ويصلوا به إلى أغراضهم ، ويستمرّ ذلك ويستفحل حتى يصبح الأدب مقصوراً عليهم ، مختصاً بهم ، ويأتي على الناس زمان لا يُفهم من كلمة «الأدب» إلا ما أُثر عن هذه الطبقة من كلام مصنوع ، وأدب تقليدي ، لا قوّة فيه ولا روح ، ولا جدّة فيه ولا طرافة ، ولا متعة فيه ولا لذّة .

ويطغى هذا الأدب الصِناعي التقليدي على كل ما يؤثر عن هذه الأمّة وتحتوي عليه مكتبتها الغنيّة الزاخرة من أدب مطبوع ، وكلام مرسَل ، وتعبير بليغ يحرّك النفوس ، ويثير الإعجاب ، ويوسّع آفاق الفكر ، ويُغري بالتقليد ، ويبعث في النفس الثقة ، ولا عيب فيه إلا أنه صدر عن رجال لم ينقطعوا إلى الأدب والإنشاء ، ولم يتخذوه حرفة ومكسباً ، ولم يشتهروا بالصِناعة الأدبية ،

ولم يكن لهذا النتاج الأدبي الجميل الرائع عنوان أدبي ، ولم يكن في سياق أدبي ، وإنما جاء في بحث ديني أو كتاب علمي ، أو موضوع فلسفي أو اجتماعي ، فبقي مغموراً مطموراً في الأدب الديني ، أو الكتب العلمية ، ولم يشأ الأدب الصناعي - بكبريائه - أن يفسح له في مجلسه ، ولم ينتبه له مؤرخو الأدب - بضيق تفكيرهم وقصور نظرهم - فينوّهوا به ويعطوه مكانه اللائق به .

إنّ هذا الأدب المطبوع الجميل القوي كثير وقديم في المكتبة العربية ، بل هو أكبر سنًّا وأسبق زمناً من الأدب الصّناعي . فقد دُوِّن هذا الأدب في كتب الحديث والسيرة قبل أن يدون الأدب الصناعي في كتب الرسائل والمقامات ، ولكنه لم يحظ من دراسة الأدباء والباحثين وعنايتهم ما حظي به الأدب الصّناعي ، مع أنه هو الأدب الذي تجلّت فيه عبقرية اللغة العربية وأسرارها ، وبراعة أهل اللغة وإبانتهم ، وهو مدرسة الأدب الأصيلة الأولى .

ونأخذ كتب الحديث والسيرة - كمثال لهذا الأدب المطبوع - أولاً فنقول انها اشتملت على معجزات بيانية وقطع أدبية ساحرة تخلو منها مكتبة الأدب العربي - على سعتها وغناها - ، وهو دليل على سعة هذه اللغة ومرونتها ، واقتدارها على التعبير الدقيق الرقيق عن خواطر ومشاعر ووجدانات وكيفيات نفسية عميقة دقيقة ، ووصف بليغ مصور للحوادث الصغيرة ، وهي الكتب التي حفظت لنا مناهج كلام العرب الأولين وأساليب بيانهم ؛ ولئن صحّ ما قاله الرقاشي : « إنّ ما تكلمت به العرب من جيد المنثور أكثر مما تكلمت به من جيّد المنظوم ، فلم يُحفظ من المنثور عشره ، ولا ضاع من الموزون عشره » فكتب الحديث النبوي تسدّ هذا الفراغ الواقع في تاريخ الأدب العربي ، وتنقل إلينا هذا الذخر الأدبي الذي اعتُقد أنه قد ضاع ، وتمتاز بأنها قد اتّصل سندها وصحّت روايتها ، فهي أوثق مصدر للغة العربية البليغة التي كانت سائدة في عهدها الذهبي الأول ، وللأدب العربي الذي كان منتشراً في جزيرة العرب .

إنَّ هذه الكتب تشتمل على روايات قصيرة وطويلة ، وكلها أمثلة جميلة للغة العرب العرباء التي كانوا يتكلمون بها ويعبّرون فيها عن ضمائرهم وخواطرهم ، ويجد دارس الأدب العربي فيها من البلاغة العربية ، والقدرة البيانية ، والوصف الدقيق ، والتعبير الرقيق ، ومن عدم التكلف والصناعة ما يقف أمامه خاشعاً معترفاً للرواة بالبلاغة والتحري في صحة النقل والرواية ، وللغة العربية بالسعة والجمال .

أما الروايات الطويلة فهي ثروة أدبية ذات قيمة فنية عظيمة ، وهي التي تجلت فيها بلاغة الراوي العربي واقتداره على الوصف والتعبير والتصوير ، وهي التي يطول فيها نَفَسه فيحكي حكاية يعبّر فيها عن معانٍ كثيرة ، وأحاسيس دقيقة ، ومناظر متنوعة ، فلا يخذله اللسان ولا يخونه البيان ، ولا يتخلف عنه مدد اللغة ، وكأنها لوحة فنية منسجمة متناسقة قد أبدع فيها الفنان ، أو صورة متناسبة قد أحسن فيها المصوّر كل الإحسان .

اقرأ معي حديث كعب بن مالك عن تخلفه عن غزوة تبوك (١) ، وهو موضوع دقيق محرج يطلب منه الصراحة والاعتراف بالتقصير ، والشهادة على النفس ، ويطلب منه تصوير ذلك الجو القاتم العابس الذي عاش فيه خمسين ليلة ، ويطلب منه تصوير الخواطر التي كانت تجيش في صدره وتساور نفسه ، وهو يعيش في جفاء وعتاب ممن يحبهم ، وتربطه بهم العقيدة والعاطفة ، لا يجد لذّة في فراقهم ، ولا يرى في الدنيا عِوَضاً عنهم ، وتصوير تلك الصلة الروحية والحب العميق الذي يربطه بالنبي ﷺ ربطاً وثيقاً محكماً لا يحلّه العتاب والعقاب ، ولا يضعفه إقبال الملوك عليه وتودّدهم اليه ، وتصوير ذلك السرور الذي غمره على إثر قبول توبته ، ما أصعب هذا الموضوع ، وما أكثره تعقداً ودقة ، ولكنه ببلاغته العربية يتغلب على هذه المشاكل النفسية والأدبية ، ويترك لنا ثروة أدبية نعتزّ بها .

(١) أقرأه في كتاب المغازي من صحيح البخاري .

اقرأ معي هذه القطعة الصغيرة التي أقتبسُها من حديثه الطويل ، وهو يحكي ما أحاط بهذه الغزوة العظيمة من ظروف واجواء ، ويصور تلك الحالة النفسية التي تخلّف فيها عن هذه الغزوة ، وما انتابه من التردُّد ، ولم يكن التخلف عن الغزوات من سيرته وعادته ، وتمتَّعْ بما احتوت عليه هذه القطعة من القوة والجمال ، وصدق التصوير ، وبراعة التعبير :

« وغزا رسول الله ﷺ تلك الغزوة حين طابت الثمار والظِّلال ، وتجهّز رسول الله ﷺ والمسلمون معه ، فطفقتُ أغدو لكي أتجهّز معهم فأرجع ولم أقض شيئاً ، فأقول في نفسي وأنا قادر عليه ، فلم يزل يتمادى بي حتى اشتد الجدّ ، فأصبح رسول الله ﷺ والمسلمون معه ، ولم أقض من جهازي شيئاً ، فقلت : أتجهز بعده بيوم أو يومين ، ثم ألحقهم ، فغدوتُ بعد أن فصلوا لأتجهز ، فرجعتُ ولم أقض شيئاً ، ثم غدوتُ ، فرجعتُ ولم أقض شيئاً ، فلم يزل بي حتى أسرعوا وتفارط الغزو ، وهممتُ أن أرتحل فأدركهم ، وليتني فعلت ، فلم يقدَّر لي ذلك ، فكنتُ إذا خرجتُ في الناس بعد خروج رسول الله ﷺ ، فطفت فيهم ، أحزنني أني لا أرى إلاّ رجلاً مغموصاً عليه النفاق ، أو رجلاً ممن عذره الله من الضعفاء » .

ثم انظر كيف يصوِّر حالته وقد هجره المسلمون ونُهوا عن كلامه ، وكيف يعبِّر عن حالة المحبّ الذي هجره الحبيب — عقوبة وتأديباً — وهو يطمع في ودّه ويتسلى بنظراته ، والذي لم يزده هذا العتاب إلا رسوخاً في المحبة ولوعة وجوى ، دعه يقصّ قصته بلسانه البليغ :

« ونهى رسول الله ﷺ المسلمين عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من تخلّف عنه ، فاجتنبَنَا الناس ، وتغيروا لنا حتى تنكَّرت في نفسي الأرض ، فما هي التي أعرف ، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة ، فأما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان ، وأما أنا فكنت أشبَّ القوم وأجلدَهم ، فكنتُ أخرج وأشهد

الصلاة مع المسلمين وأطوف في الأسواق ، ولا يكلمني أحد ، وآتي رسول الله ﷺ فأسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة ، فأقول في نفسي هل حرك شفتيه برد السلام علي أم لا ، ثم أصلي قريباً منه فأسارقه النظر ، فاذا أقبلت على صلاتي أقبل إلي ، واذا التفت نحوه أعرض عني ، حتى إذا طال علي ذلك من جفوة الناس ، مشيت حتى تسورت جدار حائط أبي قتادة وهو ابن عمي وأحب الناس إلي ، فسلمت عليه ، فو الله ما رد علي السلام ، فقلت يا أبا قتادة أنشدك بالله هل تعلمني أحب الله ورسوله ؛ فسكت فعدت له فنشدته فسكت ، فعدت له فنشدته فقال : « الله ورسوله أعلم » ، ففاضت عيناي ، وتوليت حتى تسورت الجدار » .

واقرأ معي كذلك حديث الإفك[1] الذي ظهرت فيه براعة السيدة عائشة أم المؤمنين (رضي الله عنها) الأدبية ، وقوتها البيانية وحسن تصويرها ووصفها للعواطف والمشاعر النسوية اللطيفة الدقيقة ، وقد تجلت في هذه القطعة رقة عاطفة المرأة المحبة لزوجها مع إبائها الحرة الواثقة بعفافها وطهارتها المؤمنة بربها ، وقد أضفى هذا المزيج الغريب من الرقة والشدة والعاطفة والعقل ، زد الى ذلك بيان عائشة التي تقلبت في أعطاف البلاغة العربية ، وانتقلت فيها من بيت الى بيت ، قد أضفى كل ذلك على هذه الرواية من الجمال الفني ما يجعلها من القطع الأدبية الخالدة في العربية .

انظر كيف تصف ما تقوله الناس وتحدثوا به وما شعرت به من تغير في وجه رسول الله ﷺ ، تذكر كل ذلك في حياء المرأة وأدبها ، من غير إبهام أو عي :

« قالت عائشة ، فقدمنا المدينة فاشتكيت حين قدمت شهراً ، والناس يفيضون في أصحاب الإفك لا أشعر بشيء من ذلك ، وهو يريبني في وجعي أني لا أعرف

(١) اقرأه في كتاب المغازي من صحيح البخاري أيضاً .

من رسول الله ﷺ اللطفَ الذي كنت أرى منه حين أشتكي ، إنما يدخل عليَّ رسول الله ﷺ فيسلّم ثم يقول كيف تيكم ؟ ثم ينصرف ، فذلك الذي يريبني ، ولا أشعر بالشرّ » .

وتذكر توجعها من الخبر المُشاع فتقول : « فبكيت يومي ذلك كله ، ولا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم . قالت وأصبح أبواي عندي ، وقد بكيت ليلتين ويوماً ، لا أكتحل بنوم ولا يرقأ لي دمع ، حتى أني لأظن أنَّ البكاء فالق كبدي » .

وتتقدّم في الحكاية ، وتذكر كيف يسألها رسول الله ﷺ عما قيل عنها ، ويعزم عليها الصدق ، فلا تلبث أن تعتريها حميّةُ المرأة العفيفة الفاضلة ، ويقلص دمعها حتى لا تحسّ منها بقطرة ، وترجو أباها وأمّها أن يجيبا عنها رسول الله ﷺ ، فيمتنعان ويفضّلان السكوت ، حياء من رسول الله ﷺ واستحياء لامن الدفاع عن قضية بنتهما ، وهو الدفاع عن النفس ، فتنبري للكلام القوي الصريح المبين — وهي البليغة الأديبة — وتتمثّل بقول سيدنا يعقوب وتفوّض أمرها الى الله . وتنزل براءتها من السماء فتطلب منها أمّها أن تشكر رسول الله ﷺ وتقوم اليه فتأبى — في دلال العفائف وأنفة المؤمن — أن تحمد إلا الله الذي أنزل براءتها من فوق سبع سمٰوات وخلّد طهارتها إلى آخر يوم يقرأ فيه القرآن ويؤمن به .

واقرأ كذلك حكايتها للهجرة النبوية[1] وذكرها لتفاصيلها ، وما وقع لرسول الله ﷺ وصاحبه رضي الله عنه في الطريق ووصولهما إلى المدينة ، وكيف تلقّاهما الأنصار ، وفرحوا بقدوم رسول الله ﷺ ، وكل ذلك مثال رائع للوصف الدقيق البليغ والبيان القادر الوصّاف .

(١) راجع الجامع الصحيح للبخاري الجزء الأول باب هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى المدينة المنورة .

وهنالك روايات أخرى طويلة النَّفَس ، صافية البيان ، تشتمل على غرر الكلام وبدائعه الحسان ، ومناهج العرب الأولين في كلامهم ، كحديث صلح الحديبية ، وحديث الإيلاء ، وغير ذلك ، كانت تستحق أن تكون في المكانة الأولى في دراساتنا الأدبية ، ولكنها أفلتت من نظر المؤلفين والناقدين ، لأنها لم تدخل في دواوين الأدب ، ولأن تصوُّرهم الأدب كان تصوراً محدوداً جامداً لا يعدو الصّناعة .

ويلي الحديثَ كتبُ السيرة فقد حفظت لنا جزءاً كبيراً من كلام العرب الأقحاح ، ومثّلت تلك اللغة البليغة التي كانت السائدة في عصور العربية الأولى ، وهذّبها الإسلام ورقّقها ، واشتملت على قطع أدبية لا يوجد لها نظير في المكتبة العربية المتأخرة .

إقرأ في سيرة ابن هشام حديث حليمة ابنة أبي ذؤيب السّعدية عن رضاعة رسول الله ﷺ واقرأ فيها قصص الاضطهاد والتعذيب ، واقرأ فيها مغازي رسول الله ﷺ وحروبه تجد من القدرة الفائقة على الوصف والتعبير والبيان الساحر لدقائق الحياة وخوالج النفس ، وترَ من اللغة النقية الصافية واللفظ الخفيف اللطيف ، والتعبير الدقيق الرقيق ما يُطربك ويملأك سروراً ولذة وثقة وإيماناً بعبقرية هذه اللغة ، ورغبةً في دراستها والتوسع فيها .

وهكذا صان الله هذه اللغة الكريمة الأمينة للقرآن من الضياع ، وانتقلت ثروتها من جيل إلى جيل ، ومن كتاب إلى كتاب ، حتى جاء دور التأليف والتاريخ في القرن الثالث والرابع ، وحفظ لنا المؤرخون أمثال الطبري والمسعودي ، والأدباء أمثال الجاحظ وابن قتيبة ، وأبو الفرج الأصبهاني ، ثروة زاخرة من الأدب في كتبهم ، وحفظوا لنا تلك اللغة العذبة البليغة التي كان العرب الصرحاء يتكلمون بها في بيوتهم وعلى موائدهم وفي مجالس انبساطهم ، وجاء منها الشيء الكثير في كتاب « البخلاء » للجاحظ ، وكتاب « الإمامة والسياسة » لابن قتيبة ،

وكتاب «الأغاني» لأبي الفرج الأصبهاني (على ضآلة قيمة الكتابين الأخيرين التاريخية)، وهذه كتب التاريخ والأدب التي تمثل لنا العربية في جمالها الأول، ونقائها الأصيل، وسمتها النادرة.

ثم جاء دور المتكلّفين المقلدين للعجم، ونَبَغَ في العواصم العربية أمثال أبي اسحق الصابي، وأبي الفضل ابن العميد، والصاحب بن عبّاد، وأبي بكر الخوارزمي، وبديع الزمان الهمذاني، وأبي العلاء المعرّي، واخترعوا أسلوباً للكتابة والإنشاء هو بالصناعة اليدوية والوشي والتطريز أشبه منه بالبيان العربي السلسال وكلام العرب الأولين المرسل الجاري مع الطبع، وغلب عليهم السجع والبديع، وغلوا في ذلك غلواً أذهب بهاء اللغة ورواءها، وقيّد الأدب بسلاسل وأغلال أفقدته حريته وانطلاقه وخفّة روحه وجماله.

وتزعّم هؤلاء الأدب العربي واحتكروه، وخضع لهم العالم العربي والإسلامي لنفوذهم وعلوّ مكانتهم تارة، وللانحطاط الفكري والاجتماعي الذي كان يسود على العالم الإسلامي أخرى، وأصبح أسلوبهم للكتابة هو الأسلوب الوحيد الذي يُحتذى ويقلّد في العالم الإسلامي.

وجاء الحريري فألّف المقامات — وهو أسلوب الكتابة المسجعة المختمر — وقد تهيأت لقبولها العقول، فعكف عليها العالم الإسلامي دراسةً وشرحاً وتقليداً وحفظاً، وتغلغلت في مدارس الفكر والأدب، وبقيت مسيطرة على العقول والأقلام أطول مدة تمتع بها كتاب أدبي، وما ذاك لفضل الكتاب، بل لأنه قد وافق هوى في النفوس، وصادف عصر الجمود والعقم الأدبي في العالم الإسلامي.

ثم جاء القاضي الفاضل - مجدّد أسلوب الحريري وبالأصح مقلده - وهو وزير أعظم دولة إسلامية في عصرها، وكاتب سرّ أحب سلطان في عهده صلاح الدين الأيوبي قاهر الصليبيين ومعيد مجد المسلمين، فاستطار أسلوبه في

العالم الإسلامي وحرص على تقليده الكُتّاب الناشئون في أنحاء المملكة الإسلامية .

وهكذا بقي أسلوب وحيد يتحكم في العالم الإسلامي ويسيطر على الأوساط الأدبية ، وأصبح ما خلّفه هؤلاء الكتاب المتصنعون من تراث أدبي هو المَعْنِيّ بالأدب العربي ، وجاء المؤرخون للأدب فاعتبروهم أئمة البلاغة ، وأمراء البيان ، وأصحاب الأساليب ، وقدّموا ما كتبوه ، وعرضوه للدارسين والباحثين ، وقلّد بعضهم بعضاً وتناقلوه ، وأصبحت كتب التاريخ والأدب نسخة واحدة ، وأصبحت الكتابة صورة واحدة من القرن التاسع إلى القرن الثالث عشر ، لا يُستثنى من ذلك إلا عبقريان اثنان : أولهما ابن خلدون وثانيهما الإمام أحمد بن عبد الرحيم الدهلوي [1] (م ١١٧٦ هـ) .

وتناسى هؤلاء ما كتب غيرهم وانصرف الناس ــ حتى الباحثين منهم ــ عن ذخائر الأدب العربي الثمينة ، ولم يفكر أحد في أن يبحث في كتب التاريخ والسير والتراجم ، وفي مؤلفات العلماء ، عن قطع أدبية رائعة تفوق ــ في قوتها وحيويتها ، وسلاستها وسلامتها وفي بلاغتها وجمال لغتها ــ على دواوين أدبية ومجاميع ورسائل أكبّ عليها الناس وافتتنوا بها .

هذا وقد بقيت طائفة من العلماء ــ حتى في عصور الانحطاط الأدبي ــ غير خاضعين للأسلوب التقليدي في عصرهم ، متحرّرين من السجع والبديع والصناعة والمحسنات اللفظية ، يكتبون ويؤلفون في لغة عربية نقية ، وفي أسلوب مطبوع يتدفق بالحياة ، إذا قرأه الإنسان ملكه الإعجاب ، وآمن بفكرتهم وخضع لعقيدتهم ولما يقرّرونه ، وهذه القطع التي طُويت في أثناء كتب علمية أو دينية ، فجهلها الأدباء وزهد فيها تلاميذ الأدب هي من بقايا الأدب العربي الأصيل ، وهي التي عاشت لها العربية هذه السنين الطوال ، وهي التي يفرغ إليها المتأدّب

(١) اقرأ كتابه الفريد « حجة الله البالغة » ، واقرأ ترجمة مؤلفه في « نزهة الخواطر » الجزء السادس ، طبع دائرة المعارف بحيدر آباد ، الهند . (٦)

المتذوّق ، وهي رياض خضراء في صحراء العربية القاحلة التي تمتدّ من عصر ابن العميد إلى عصر القاضي الفاضل إلى أن جاء ابن خلدون .

إنّ ما كتب هؤلاء العلماء ، غير معتقدين أنهم يكتبون الأدب ، ولازاعمين أنهم في مكانة عالية من الإنشاء ، هو الذي يُسعد العربية ويشرّفها أكثر مما يسعدها ويشرّفها كتابات الأدباء ورسائلهم ، وموضوعاتهم الأدبية ، وأخاف لو أنهم قصدوا الأدب وتكلفوا الإنشاء لفسدت كتابتهم وفقدت ذلك الرونق وتلك العذوبة التي تمتاز بها كتابتهم ، وخسرنا هذه القطع الجميلة المليئة بالحياة ، فقد التصقت بالأدب شروط وصفات وتقاليد هي المفسدة له الطامسة لنوره ، فلا بد فيه من السجع ، ولا بد فيه من الصناعة ، ولا بد فيه من البديع ، والمحسنات اللفظية ، ولا بد من تقليد من بَعُدَ في الطبقة الأولى من الأدباء ، أما الكتابات العلمية والتاريخية أو الدينية فليست فيها هذه الالتزامات وهذه الشروط القاسية ، فتأتي أبلغ وأجمل .

ونرى الكاتب الواحد إذا تناول موضوعاً أدبياً وتكلف الإنشاء تدنّى وأسفّ وتعسّف وتكلّف ولم يأت بخير ، وإذا استرسل في الكلام وكتب في موضوع علمي أو ديني أحسن وأجاد ، هكذا نرى الزمخشري متكلفاً مقلداً في «أطواق الذهب» وكاتباً موفقاً بليغاً في مقدمة «المفصل» وفي مواضع من تفسيره «الكشاف» ، وهكذا نجد ابن الجوزي غير موفق في كتابه «المدهش» ، وكاتباً مترسلاً بليغاً في كتابه «صيد الخاطر» ، وظني أنهما كانا يعتبران أثريهما الأدبيين «أطواق الذهب» و «المدهش» من أفضل كتاباتهما الأدبية التي يعتمدان عليها ويفتخران بها ، ولعل عصرهما صفق لهذين الكتابين : «الأطواق والمدهش» أكثر مما صفق لكتاباتهما العلمية والأدبية والدينية ، ولكن قاضي الزمان وحاكم الذوق قد حكما بالعدل . وليس اليوم للكتابين الأولين قيمةٌ كبيرة ، أما «صيد الخاطر» و «تلبيس إبليس» و «المفصل» و «الكشاف» فهي جديرة بالبقاء ، جديرة بكل اعتناء .

ليس السرّ في فضل هذه الكتابات العلمية والدينية وتأثيرها وقوتها وجمالها هو التحرر من السجع والبديع وترسلها فحسبُ ، بل السبب الأكبر هو ان هذه الكتابات قد كتبت عن عقيدة وعاطفة ، وعن فكرة واقتناع ، وعن حماسة وعزم ، أما الكتابات الأدبية فقد كان غالبها يكتب بالاقتراح - من الملك أو الوزير أو الصديق - أو لإرضاء شهوة الأدب ، أو تحقيق رغبة المجتمع ، أو حبًّا للظهور والتفوق ، وهذه كلها دوافع سطحية لا تمنح الكتابة القوة والروح ، ولا تسبغ عليها لباس البقاء والخلود ، ولا تعطيها التأثير في النفوس والقلوب ، والفرق بينها وبين الكتابات المنبعثة من القلب والعقيدة كالفرق بين الصورة والإنسان ، وكالفرق بين النائحة والثكلى .

ويذكّرني هذا قصة رُويت لنا في الصبا ، وهو أن كلبًا قال لغزال : ما لي لا ألحقك وأنا من تعرف في العَدْو والقوة ؟ قال : لأنك تعدو لسيدك وأنا أعدو لنفسي . وقد كان هؤلاء الكتاب المؤمنون الذين ملكتهم فكرة أو عقيدة أو دعوة يكتبون لأنفسهم ، يكتبون إجابة لنداء ضميرهم وعقيدتهم ، مندفعين منبعثين فتشتعل مواهبهم ويفيض خاطرهم ويحترق قلبهم فتنثال عليهم المعاني وتطاوعهم الألفاظ وتؤثر كتاباتهم في نفوس قرائها ، لأنها خرجت من قلب فلا تستقر إلا في قلب .

أما هؤلاء المتصنّعون فانهم في كتاباتهم الأدبية أشبه بالممثلين قد يمثلون الملوك فيتصنعون أبهة الملك ومظاهره ، وقد يمثلون الصعلوك فيتظاهرون بالفقر ، وقد يمثلون السعيد وقد يمثلون الشقي ، من غير أن يذوقوا لذة السعادة أو يكتووا بنار الشقاء ، وقد يحزّنون من غير أن يشاركوا المفجوع في أحزانه ، وقد يبتهلون من غير أن يشاركوا السعيد في أفراحه .

بالعكس من ذلك اقرأ كتابات الغزّالي في «الإحياء» وفي «المنقذ من الضلال» ، واقرأ خطب الشيخ عبد القادر الجيلي (رضي الله عنه) - ما صحّ منها - ، واقرأ ما كتبه

القاضي ابن شداد عن صلاح الدين ، واقرأ ما كتبه شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه الحافظ ابن قيم الجوزية في كتبهما ، تَرَ مثالاً رائعاً للكتابة الأدبية العالية يتدفق قوة وحياة وتأثيراً ، وذلك هو الأدب الحي الخليق بالبقاء ، ولا سبب لذلك إلا أنه كتب عن عقيدة وعاطفة .

وهنالك شيء آخر وهو أنّ الإيمان وصفاء النفس ، والاشتغال بالله والعزوف عن الشهوات يمنح صاحبه صفاء حسّ ، ولطافة نفس ، وعذوبة روح ، ونفوذاً إلى المعاني الدقيقة ، واقتداراً على التعبير البليغ ، فتأتي كتابته كأنها قطعة من نفس صاحبها وصورة لروحه ، خفيفة على النفس ، مشرقة الديباجة ، لطيفة السبك ، بارعة في التصوير ، لذلك كان من الأدب الصوفي وفي كلام الصالحين العارفين قطع أدبية خالدة لم تفقد جمالها وقوتها على مرّ العصور والأجيال ، وترى من ذلك نماذج ــ في كلام السادة : الحسن البصري وابن السماك والفضيل ابن عياض وابن عربي الطائي ــ تعدّ من محاسن العربية ، واقرأ ــ على سبيل المثال ــ الحوار الذي دار بين ابن عربي ونفسه ، وسجله في رسالته « روح القدس » .

إن هذه القطع الأدبية الدافقة بالحياة والقوة والجمال كثيرة غير قليلة في المكتبة العربية ، إذا جُمعت تكونت منها مكتبة ، ولكنها منثورة مبعثرة في هذه المكتبة ، مطوية مغمورة في أوراق كتب ومؤلفات لا نجدها في ركن الأدب والإنشاء في مكتباتنا العربية ، ولا يذكرها المؤرخون للأدب في كتبهم ، هذه القطع هي أصدق تمثيلاً للغة العربية وأدبها الرفيع ومحاسنه من كثير من الكتب المختصة بالأدب ، ومن كثير من المجاميع والرسائل والمقامات والمقالات الأدبية التي تعتبر أساس الأدب ، وزهو العربية ، ومحصول المقول .

وهذه القطع هي التي تخدم اللغة والأدب أكثر مما تخدمها كتب اللغة والأدب ، وهي التي تفتق القريحة وتنشط الذهن ، وتُقوّي الذوق السليم ، وتعلّم الكتابة الحقيقية .

إنّ هذه القطع والنصوص منثورة كما قلت في كتب الحديث والسيرة والتاريخ وكتب الطبقات والتراجم ، والرحلات ، وفي الكتب التي ألفت في الإصلاح الديني والأخلاق والاجتماع ، وفي بحوث علمية ودينية ، وفي كتب الوعظ والتصوف ، وفي الكتب التي سجّل فيها المؤلفون خواطرهم وتجارب حياتهم ، وملاحظاتهم وانطباعاتهم ، ورووا فيها قصة حياتهم ، هذه ثروة أدبية زاخرة تكاد تكون ضائعة ، وقد جنى هذا الإهمال على اللغة والأدب ، وعلى الكتابة والإنشاء وعلى التأليف والتصنيف وعلى التفكير فقد حرمه مادة غزيرة من التعبير ، وباعثاً قوياً للتفكير .

مخطئ من يظن أن المكتبة العربية قد استُنفِدت وعُصِرَت إلى آخر قطراتها ، إنها لا تزال مجهولة تحتاج إلى اكتشافات ومغامرات ، إنها لا تزال بكراً جديدة تعطي الجديد وتفجأ بالغريب المجهول ، إنه لا تزال فيها ثروة دفينة تنتظر من يحفرها ويثيرها .

إنّ مكتبة الأدب العربي في حاجة شديدة إلى استعراض جديد ، وإلى دراسة جديدة ، وإلى عرض جديد .

ولكنّ هذه الدراسة وهذا الاستعراض يحتاجان إلى شيء كبير من الشجاعة ، وإلى شيء كبير من الصبر والاحتمال ، وإلى شيء كبير من رحابة الصدر وسعة النظر . فالذي يخوض فيها ليخرج على العالم بتحف أدبية جديدة وذخائر عربية جديدة ، ينبغي أن لا يكون ضيّق التفكير جامداً متعصباً في فهمه للأدب ، متعصباً لبلد أو لطبقة أو لعصر ، تهوله ضخامة العمل ، واتساع المكتبة العربية ، أو يوحشه عنوان ديني أو يمنعه – من الاختيار والدراسة – اسم قديم لا صلة له بالأدب والأدباء ، يجب أن يكون حرّ التفكير ، واسع الأفق ، بعيد النظر ، متطلعاً إلى الدراسة والتجربة ، واسع الاطلاع على الكنوز القديمة ، يفهم الأدب في أوسع معانيه ، ويعتقد أنه تعبير عن الحياة وعن الشعور والوجدان في أسلوب بليغ مبين .

إنني لا أزدري كتب الأدب القديمة - من رسائل ومقامات وغيرها - ولا أقلل قيمتها اللغوية والفنية، وأعتقد أنها مرحلة طبيعية في حياة اللغات والآداب؛ ولكنني أعتقد أنها ليست الأدب كله، وانها لا تحسن تمثيل أدبنا العالي الذي هو من أجمل آداب العالم وأوسعها، وانها جنت على القرائح والملكات الكتابية والمذاهب والطاقات وعلى صلاحية اللغة العربية، ومنعت من التوسع والانطلاق في آفاق الفكر والتعبير، والتحليق في أجواء الحقيقة والخيال، وتخلفت بهذه الأمة العظيمة ذات اللغة العبقرية والأدب الفني فترة غير قصيرة، نخير لنا أن نعطيها حظها من العناية والدراسة ونضعها في مكانها الطبيعي في تاريخ الأدب وطبقات الأدباء، وأن ننقب في المكتبة العربية من جديد، ونعرض على ناشئتنا وعلى الجيل الجديد نماذج جديدة من الكتب القديمة للأدب العربي حتى يتذوق جمال هذه اللغة، وينشأ على الإبانة والتعبير البليغ، ويتعرف بهذه المكتبة الواسعة ويستطيع أن يفيد منها.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

إنه عمل ضخم لينوء به الأفراد، إنه عمل المجامع العلمية والأدبية في العالم العربي، فهل يفكر في ذلك مجمعنا العلمي في دمشق الذي خدم هذه اللغة وأدبها من نواح عديدة وجديدة؟ ويسد هذا الفراغ الشائن في تقديم الأدب العربي؟

إنه تحية من فرد يُختار ليكون عضواً في هذه الأسرة الكريمة، وإنه اقتراح من رجل اشتغل بدراسة الأدب العربي في بلاد العجم، وآمن بهذه اللغة وعبقريتها، وأحبها أكثر من لغة بلاده، لأنها لغة الكتاب الذي نال به الإيمان، ولغة النبي الذي عُرف به مقام الإنسان، ولأنها لغة تستحق هذا التقدير وهذا الإكبار.

أبو الحسن علي الحسني الندوي

تحقيقات حول

نقد الغزالي

لمذهب المشائين والأفلاطونية المحدثة (*)

- ٣ -

اما موقف الفارابي من رأي أرسطاطاليس في هذه المشكلة، فأمر أخطر من موقفه من رأي افلاطون . ولا جرم أن من الغريب جداً أن يعزو أبو نصر إلى المعلم الأول القول بحدوث العالم؛ إلا أنه مع ذلك قد فعل، خلافاً لما ظنه الغزالي . فلننظر في النصوص التي أشار إليها .

يفرق أرسطو في الجزء الخامس من الأورغانون [١] بين القياس البرهاني (*Syllogisme - démonstration*) والقياس الجدلي (*Syl. dialectique*) اللذين يستحقان اسم القياس، والقياس السفسطائي (*Syl. éristique*) الذي لا يستحق هذا الاسم. فالأول مقدماته «حقة وأولية»، والثاني مقدماته «احتمالية» والمراد بالاحتمالية «الآراء المقبولة لدى جميع الناس أو سوادهم أو حكمائهم (على الاجماع أو لدى غالبيتهم أو أعلامهم كعباً في الحكمة)» . والثالث إما مقدماته آراء ظاهرها احتمالي وليست كذلك في الواقع؛ وإما هي في الواقع احتمالية أو ظاهرة الاحتمال، ولكن مجرد الظاهر فقط يرتب النتائج على تلك المقدمات .

فـ «المواضع» (طوبيقـا) هي نظرية الاستدلال الجدلي الاحتمالي الذي

(*) راجع مجلة المجمع العلمي العربي، المجلد ٣٢، الجزء ٣ (تموز ١٩٥٧) .

(١) *Les Topiques*, I, 11, 104 b

لا تكون مقدماته إلا آراء مشهورة ذائعة . ولذلك ينساق أرسطو في هذا الجزء من الكتاب إلى البحث عن القضايا الجدلية التي « يمكن إيراد أدلة مقنعة عليها في الحالين »[(١)] ويقرر أن في جملة هذه القضايا التي « يمكن التحري عن حل لها » (وإن كان بعضها يبدو مستعصياً على الحل « نظراً لسعته المتجاوزة الحد التي توهمنا باستحالة تعليله ») قضية : العالم قديم أم لا .

والواقع أن الذين يقرؤون أمثال هذه النصوص ، في وسعهم أن يزعموا أن قضيه قدم العالم من الأمور التي يُستدل عليها بقياس صحيح في نظر أرسطو . ولكن الفارابي ينكر أن يكون هذا من غرض أرسطاطاليس ، ويؤكد « أن ما يؤتى به على سبيل المثال لا يجري مجرى الاعتقاد ؛ وأيضاً فإن غرض أرسطو في كتاب طوبيقا ليس هو بيان أمر العالم ، لكن غرضه أمر القياسات المركبة من المقدمات الذائعة » . ولئن أتى في هذا المعنى بأمثلة منتزعة من مناظرات أهل زمانه ، فذلك لا يجوز أن يحسب عقيدة له ، لا سيما وأنه بيّن « أن المقدمة المشهورة لا يُراعى فيها الصدق والكذب ، لأن المشهور ربما كان كاذباً ، ولا يُطرح في الجدل لكذبه ، وربما كان صادقاً فيستعمل لشهرته في الجدل واصدقه في البرهان » . ويخلص الفارابي من هذه المحاكمة إلى النتيجة الآتية : « فظاهر أنه لا يمكن أن يُنسب إليه الاعتقاد بأن العالم قديم بهذا المثل الذي أتى به في هذا الكتاب » .

ولقد يجوز لنا أن نقرر استصواب رأي الفارابي في هذا لو بقي الأمر عند هذا الحد . ولكن القضية - بملء الأسف - أعقد مما يظن ، وإن بلغت الجرأة بأبي نصر حد اقتحام العقبة ومواجهة أقوال أرسطو في كتاب « السماء والعالم » الذي ذكره صراحة دون جمجمة . والذي لا ينقضي منه العجب هو أن الفارابي على الرغم من تقريره أن أرسطو في هذا الكتاب قال : « إن الكل ليس له بدؤ زماني »

(١) *Les Topiques* (ترجمة Tricot) ، ص ٢٦

أبى أن يقرّ بأن معنى هذا كون العالم قديماً . وبديهي أن هذا موقف يصعب الدفاع عنه ، لا سيما إذا علمنا أن قسماً كبيراً من «كتاب السماء والعالم» اعتراضات أوردها التلميذ على أستاذه افلاطون ، الأمر الذي دفع ببعض النقاد أن يرى فيه «رداً مباشراً على طيماوس» [1] . ونحن إن رجعنا النظر في الفصل العاشر من الكتاب الأول وجدناه مخصصاً لمناقشة قضية خلق السماء أو عدم خلقه [2] . وفي الفصول التالية يعود أرسطو إلى مناقشة هذه القضية بصورة عامة مبتدئاً باستعراض آراء من تقدمه ، فيلاحظ أن جميعهم متفقون على أن للعالم بداية ، أو بعبارة أخرى على أنه مولود ، مع خلاف واحد فقط في أمر سرمديته . ثم يشير إلى رأي افلاطون في طيماوس فيقول عنه «إنه جزم بأنه محدث ولكنه غير قابل للفساد» [3] ويأخذ في تضعيف وجهي هذا الرأي . إذ لو كان المقصود مجرد اتخاذ العالم أشكالاً مختلفة متجددة ، لكان معنى الكلام أنه أبدي «لأن الأشكال المتوالية هي القابلة للفساد، لا العالم أبداً» ، ولو قيل إن العالم مخلوق ، ولكنه لا يفسد مذ خلق ، لكان هنالك تناقض في القول : لأن غير المخلوق هو وحده القديم غير القابل للفساد . أما المولود المحدث

---

(١) راجع بودري : الكتاب نفسه ص ١١٣

(٢) راجع ذلك في الصفحات ٨٣ ، ٩٠ من ترجمة بارتلمي سانت هيلير (باريز ١٨٦٦)

(٣) يلاحظ بارتلمي سانت هيلير أن ضمير الغائب الوارد في النص الأصلي يحتمل أن يعود على طيماوس كما يحتمل أن يعود على افلاطون (راجع حاشية ص ٩٠) ، ومن جهة ثانية يلاحظ مارتان أنه كان بوسع أرسطو أن يضم إلى جانب افلاطون طيماوس اللوقرسي (Timée de Locres) مع بعض الفيثاغوريين (راجع ص ١٩٠ من الجزء الثالث من كتابه *Etude sur le Timée de Platon*) . فضمن هذه الشروط ، ألا يمكن أن نفترض أن ذهن الفارابي انصرف إلى طيماوس ، هذا أو ذاك ، لا إلى افلاطون أو من يحمل رأيه من أشخاص كتابه ؟ ستظل الإجابة عن هذا السؤال ممتنعة ما دام تفسير الفارابي على طيماوس مفقوداً في جملة البضعة والستين مؤلفاً من تآليفه الضائعة (راجع إحصاء القفطي لها في «تاريخ الحكماء») .

في زمن ما ، فلا مناص من فنائه ، وإلا لترتب على ذلك قبول لا نهاية غريبة ، لها أول وليس لها آخر ، على حين أن « اللانهاية ليس لها أول ولا آخر » (١) .

وبديهي أن مثل هذه المناقشة التي عرض لها أرسطو هي من الوضوح بحيث لا يلمس معها المرء حاجة إلى التفسير والتأويل . وذهاباً من هذا ، تبدو كل محاولة للتأليف بين أرسطو وأفلاطون محاولة تحلية صنعية . إلا أن الفارابي لم يحجم عن ركوب هذا المركب الصعب ، وذهب يدلل على أنه لا بد من تخريج رأي أرسطو . ذلك لأننا نعلم أنه يقرر في « السماع الطبيعي » (٢) أن « الزمان إنما هو عدد حركة الفلك وعنه يحدث ما يحدث » (٣) ، أي ان الزمان قد ولده العالم . فإذا ثبت هذا ، استحال أن يتضمن المحدَث (بالفتح) ما أحدثه ، بمعنى أن الزمان لا يمكن أن يتضمن العالم . وما دام تضمنه أضيق من تضمُّن العالم فلا يمكن أن يقال إن للعالم ابتداءً في جوف الزمان . ولهذا عندما يقول أرسطو : لا ابتداء للعالم في الزمان ، فلا يجب أن يُفهم من قوله أكثر من أن العالم « لم يتكون أولاً فأولاً بأجزائه كما يتكون البيت أو الحيوان » على نحو يتقدم به بعضُ الأجزاء على بعض من الوجهة الزمنية ، لأن الزمان نشأ بنشأة العالم ، بل إنما يجب أن يُفهم أن الباريء « أبدعه » دفعةً بصورة خارجة عن الزمان ، وعن حركته خرج الزمان .

هنا يجدر التساؤل عن المراد بمعنى الإبداع في هذا الصدد ، لأنه يتوقف على ذلك المعنى حقيقة موقف الفارابي من قضية حدوث العالم .

إننا لو رجعنا إلى « كشاف مصطلحات الفنون » للتهانوي لوقفنا على النص الآتي :

« الإبداع في اللغة إحداث شيء على غير مثال سابق . وفي اصطلاح الحكماء ، إيجاد شيء غير مسبوق بالعدم ؛ ويقابله الصنع وهو إيجاد شيء مسبوق بالعدم .

(١) راجع *Duciel* I, 274 a 7, 275 a 13

(٢) ***Physique*** IV, (11) 219 b (11 — 12) 220 a sq.

(٣) راجع خاصةً 223 b, 21

كذا ذكر شارح الإشارات في صدر النمط الخامس ․ ․ ․ ․ وعند هذا يظهر أن الصنع والإبداع يتقابلان ․ » [١]

ترى فأي هذه المعاني أراد الفارابي ؟ إنه إن أراد الإيجاد الذي لا يسبقه العدم (وهو المعنى الذي سيستعمله ابن سينا) فمن حق الغزالي ـ ولو اطلع على نصوص كتاب الجمع بين رأي الحكيمين ـ ألا يغير رأيه في الفارابي، وأن يثابر على وصمه بأنه من القائلين بقدم العالم، نظراً لما يترتب على أخذ اللفظ بالمعنى المشار إليه، من مشاركة للإله بصفة الأزلية ولو كان هنالك تستّر وتمويه بإطلاق لفظ الإبداع !

ذلك لأن الابداع في هذه الحال لا يزيد على كونه عملية ثانوية تمسّ ما له وجود سابق ․ أما إن كان المقصود غير ذلك وخاصةً خلق من العدم، فمحاسبة الغزالي للمعلم الثاني أمر في غير محله ․

للبت في هذه المسألة، يجب الرجوع إلى نصوص الفارابي نفسه ․ إننا نجد في كتب الفارابي معنيين مختلفين لهذا اللفظ ․ فمن جهة نجد في «عيون المسائل» [٢]: «والابداع هو حفظ إدامة وجود الشيء، الذي ليس وجوده لذاته، إدامةً لا يتصل بشيء من العلل غير ذات المبدع» ․ ومن جهة ثانية نجد في «الجمع بين رأي الحكيمين» [٣]: «وإنه إيجاد الشيء لا عن شيء ․ ․ ․ والعالم مبدع من غير شيء» ․ ونحن نرجح المعنى الثاني: أولاً لصراحة هذا النص الأخير؛ وثانياً لأن «عيون المسائل» مشكوك في كون الفارابي هو الذي أملى نصوصها؛ وثالثاً لأننا نقرأ في الدعاوى القلبية المنسوبة إلى أرسطو مجردة عن الحجج

(١) راجع الجزء الأول ص ١٣٤ ․
(٢) راجع ص ٥٨ من طبعة ديتريصي ․
(٣) راجع ص ٢٥ من طبعة ديتريصي ․

لأبي نصر الفارابي : « ان العالم محدث لا على أنه كان قبل العالم زمان لم يخلق الله فيه العالم ثم بعد انقضاء ذلك الزمان خلق العالم ، بل على أن العالم وجوده بعد وجوده بالذات . »[1] وظاهر أن ما قبل الوجود بالذات هو العدم المطلق ، فاذا كان وجود العالم بعد الوجود بالذات ، فوجوده إنما هو وجود مسبوق بالعدم .

بيد أنه ، ولو تقرر أن ما أراده الفارابي من الابداع إنما هو إيجاد شيء لا من شيء ، فإن المسألة لا تعدّ محلولة نهائياً ويظل من حق الناقد أن يتساءل : تُرى أهذا هو المعنى الذي أراده أرسطو حقيقةً في مفهومه عن علاقة المبدع بما يبدعه ؟ أو ليس الفارابي مسرفاً حين ينسب إلى أرسطو القول بأن « الباري جل جلاله » هو الذي أبدع العالم ؟ في اعتقادنا أن هذا هو موطن الضعف في تفسيره ، وأن الغزالي لو اتفق له أن يهتدي إلى هذا المأتى لسدد إلى مقاتل النظرية الفارابية طعنةً توردها حياض حتفها .

فمن المعلوم أن المحرك الأول ـ عند أرسطو ـ غير متحرك ولا خلاّق ، وإنما هو « عقل على حال الفعل » ؛ هو « فكرة الفكرة » ، هو « حي أزلي كامل » . إنه في الخير مبدأ جذبه المستمر الذي لا يُدفع وبواسطة هذا المبدأ ، على اعتبار أن الخير موضوع عشق ، يشرئب العالم اليه ويتوق[2] . فهذا المفهوم مباين أشد المباينة لمفهوم الاله في الشرائع السماوية ، ذلك المفهوم القائم على صفة أساسية هي صفة الخلق والابداع من العدم (*Création ex - nihilo*) . يقول مؤرخ الفلسفة الشهير الأستاذ أميل برييه : « ليس الاله عنده [= أرسطو] بصانع العالم ، حتى إنه لا يعرف العالم »[3] . ويقول عن الاله في هذا اللاهوت إنه « منظور إليه فقط في وظيفته الكونية ، كأنه محدث لوحدة العالم » .

(١) راجع ص ٧ من طبعة حيدر آباد ١٣٤٩ .

(٢) *Métaphysique* L 7, 1072 b, 8, 1074 b, 1055 a

(٣) Bréhier, *Histoire de la Philosophie*, I, 223

ولهذا يبدو من الصعب جداً اعتماد تفسير الفارابي ومعذرته ، لولا أنه كان ، كالكندي وغيره من المشائين العرب ، ضحية خطأ تاريخي من شأنه تقوية ذلك التفسير .

ذلك أن كتاب آثولوجيا [1] معدود عند هؤلاء الفلاسفة من جملة كتب

---

(١) الأصل اليوناني لهذا الكتاب مفقود ، وإن كان من مؤرخي الفلسفة من يفيدنا أنه كان موجوداً على عهد توماس الأكويني ، لأن هذا القديس يؤكد في بعض كتبه أنه رآه (راجع حاشية الصفحة ٨٦ من الجزء الثالث من كتاب Vacherot, *Histoire critique de l'Ecole d'Alexandrie*) . ولقد كان في أيدي دارسي الفلسفة إلى عهد قريب روايتان عنه : إحداهما الرواية اللاتينية التي نشرت في روما سنة ١٥١٩ بقلم الطبيب الفيلسوف Pietro Nicolò de Castellani عن ترجمة إيطالية صنعها يهودي قبرصي يسمى Moise Rova نقلاً عن أصل عربي وجده Francesco Roseo في مكتبة دمشق (راجع Duhem, *Le Système du Monde*, IV, 265) . والثانية الرواية العربية التي نشرها الدكتور فريدرخ ديتريصي في ليبزغ سنة ١٨٨٢ وترجمها الى الألمانية بعنوان *Die sogenannte Theologie des Aristoteles* وهي التي اعتمدناها في دراستنا هذه . وكان المعروف أن الترجمة اللاتينية تلخيص بتصرف عن المتن العربي ، إلى أن نبه A. Borisov أن في مجموعة فيركوفيتش مقاطع بالكرشونية (العربية المكتوبة بالعبرية) تطابق الترجمة اللاتينية على وجه الضبط (راجع *Abstracta Islamica*, V, 1934, II, A, 139) . هذا وقد أصدر الدكتور عبد الرحمن بدوي سنة ١٩٥٥ كتاب « أفلوطين عند العرب » ونشر فيه نصوصاً مستوفاة لأثولوجيا المنحولة ، وقدّم له بكلام مستفيض على الأبحاث الدائرة حول الموضوع (راجع أيضاً مقالاً له بعنوان « مخطوطات أرسطو في العربية » ، نشره في الجزء الأول من المجلد الثاني لمجلة معهد المخطوطات العربية شوال ١٣٧٥ = مايو ١٩٥٦) (وكذلك ما كتبه الدكتور أسعد طلس في مجلة المجمع العلمي العربي الجزء ٢ من المجلد ٢٤ ، نيسان ١٩٤٩) .

جاء في فاتحة الكتاب : « الميمر الأول من كتاب أرسطاطاليس الفيلسوف المسمى باليونانية أثولوجيا وهو قول على الربوبية تفسير فرفوريوس الصوري » ترجمه عبد المسيح بن عبد الله بن ناعمة ، وأصلحه لأحمد المعتصم بالله أبو يوسف يعقوب ابن إسحاق الكندي . وفي رأي أرنست رونان أن المؤلف قد يكون عربياً –

ARCHIVE

أرسطو . مع أن الدراسات الحديثة في تاريخ الفلسفة أثبتت أنه مأخوذ عن تفاسير (ضائعة) لفرفوريوس الصوري على مقتطفاته من بعض تساعيات أفلوطين (VI — IV) . والذي يجوز أن يكون قد أوقعهم في هذا الخطأ إنما هو الأمر الذي ألمح إليه فرفوريوس كاتب أفلوطين الأمين عندما قال : « إن ميتافيزياء أرسطو مكثفة كلها في التساعيات التي تختلط فيها بصورة مريبة العقائد الرواقية مع عقائد المشائين » [1] .

بهذا الاعتبار يعود من غير المستغرب أن تُغطيّ العناصر ذات المسحة الأرسططالية (كنظرية العلل الأربع ، والقوة والفعل ، والكون والفساد) على العناصر الأخرى ذات الأصل المسيحي التي دسها بعض مهرة الأفلاطونيين الحديثين في هذا الكتاب المنحول . ولا بد من معذرة الفارابي إن هو وجد في الكتاب المذكور ما يؤيد تفسيره لآراء أرسطو ، فاستمسك به واتخذه سلاحاً في برهانه .

(راجع ص 70 من كتابه *Averroès et l'Averroïsme*) . إلا أن الذي عليه أكثر مؤرخي الفلسفة أن الكتاب مستمدٌ من افلوطين ، لما فيه من المشابهات الكثيرة مع التساعيات . يقول بريهيه (في تاريخ الفلسفة ج ١ ص ٦١٣) : « إنه ترجم في نحو سنة ٨٤٠ وهو بعض خلاصات من سبعة أبحاث توجد في تساعيات افلوطين الأخيرة . ومن هذه الخلاصات البحث الثاني بكامله من التساعية الخامسة ، وفيه موجز مذهب أفلوطين . وقال : إن في المقدمة تلخيصاً لنظرية الافلاطونيين المحدثين في الأقانيم . على أنها زادت على ثلاثة الأقانيم (أي الإله والعقل والنفس) لفظاً رابعاً وهو « الطبيعة » التي تتفرع عن النفس . وذلك لتوافق أنواع العلل الأربعة في مذهب أرسطاليس » . ويلاحظ دوهيم المتقدم ذكره فوق هذا الكلام (راجع الجزء الرابع من كتابه ص ٣٦٥ وما بعدها) أن هذه الخطوط العامة في الكتاب لا تختلف عن خطة الافلاطونية الحديثة وبصورة خاصة لا تختلف عن فلسفة ابرقليس Proclus إلا بشيء يسير ، ويضيف انه محاولة جبارة لمزج ثلاث ميتافيزيقات في مذهب واحد (أي فلسفة أرسطو والافلاطونية الحديثة والنصرانية .)

(١) Ravaisson, *Essai sur la Métaphysique d'Aristote*, t. II, 382

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وهذا ما صنعه في الواقع حين أورد أمر خلق الهيولى على أنهـا أول الأشياء محسوسة [١] . ولعله كان بإمكانه أن يضيف إليه أيضاً النص الصريح التـالي من "أثولوجيا" [٢] : « وينبغي لك أن تنفي عن وهمك كل كون بزمان إذا كنت إنما تريد أن تعلم كيف أبدعت الانيات الحقة الدائمة الشريفة من المبدع الأول ، لأنها إنما كوّنت منه بغير زمان ، وإنما أُبدعت إبداعاً وفُعلت فعلاً ليس بينها وبين المبدع الفاعل متوسط البتة . فكيف يكون كونها بزمان وهي علة الزمان والأكوان الزمانية ونظامها وشرفها [١٠٣] ؟ وعلة الزمان لا تكون تحت الزمان، بل تكون بنوع أعلى وأرفع كنحو الظل من ذي الظل » . فإن في هذا النص شاهداً على حقيقة موقف المؤلف ـ وهو في نظره أرسطاليس ـ من قضية قدم العالم .

ولكن أبا نصر مضى في دعمه لنظرية « الخلق » عند أرسطو وفي تقريره أن الإله عنده هو صانع الأشياء، مستنداً إلى نظريتين وردتا في « السماع الطبيعي » [٣] ، هما نظرية البخت والصدفة ونظرية العلل . يقول أرسطو في دحض مذهب ديمقريط في الصدفة : « إن البخت والاتفاق هما علتان بالعرض لحوادث يمكن أن يكون العقل أو الطبيعة علتيها . وبما أنه لا يتقـدم العرضيُّ على « القائم بذاته » فالاتفاق والبخت متأخران عن العقل وعن الطبيعة » . ثم يقول أرسطو : « لو أن الصدفة كانت علة السماء ـ الأمر الذي يُعَدّ من المقالات الكُبَر ـ لوجب على نحو أسبق أن يكون العقل والطبيعة علتين لكثير من

(١) « ان أول أثر تؤثره النفس إنما تؤثره في الهيولى لأنها أول الأشياء الحسية » (راجع ص ٧٨ من طبعة ديتريصي سنة ١٨٨٢) .

(٢) راجع ص ١١٢ من الطبعة المشار إليها .

(٣) *Physique* II (3 — 7)

الأشياء الأخرى ولهذا الكون أيضاً » [١] . ومن جهة أخرى يقول أرسطو : « الفاعل هو علة المفعول ، وما يحدث التغير هو علة المتغير » [٢] . فكأن الفارابي يريد أن يقول : إن أرسطو يرى أنه ما دامت العلة الغائية تحدث (بما تبعث من شوق وعشق) حركةً أو تغيراً في المتحرك ، فكل علة غائية هي علة فاعلة . وذهاباً من هذا ، يكون المحرك الأول غير المتحرك فاعلاً لهذا العالم الذي لا يجوز أن يكون أثراً للصدفة والاتفاق .

نعم إن من الغريب أن يذكر الفارابي كتاب اللام دون أن يعرض للمقطع القائل فيه صراحة : « إن السماء الأول هو قديم » [٣] ، ولكن ما كان يهمه من كل ذلك – على ما يظهر – إنما هو مغزى الكتاب في جملته ، وهو قائم على إثبات وجود كائن « يحرّك دون أن يكون محرَّكاً ؛ كائن أزلي هو جوهر وفعل صرف » [٤] .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

على ما به ، فإن المحاولة الفارابية كان نصيبها الإفلاس ، ولم تحظ عند فلاسفة المسلمين بالصدى الذي كان ينتظر منها . حتى ان الشهرستاني في « نهاية الإقدام » عندما عرض لآراء الفلاسفة في وجهة النظر التي تعنينا وضع تالس ، وآنكزاغورس ، وآنا كزيمين المليطي ، وفيثاغورس ، وامبذقليس وسقراط ، وأفلاطون في صف من يقولون بخلق الإله للعالم ، ووضع في صف آخر أرسطو والاسكندر الافروذيسي وثيمسطيوس وأبرقليس والفارابي وابن سينا . أما الرازي في المحصل (ص ٨٤) فقد صنف آراء الناس في هذه القضية تصنيفاً آخر هو الآتي :

(١) المصدر نفسه 198 a, 9 — 14
(٢) المصدر نفسه 194 b, 23
(٣) *Métaphysique* (XII) 7. 1071 b, 23
(٤) المصدر نفسه 25

غير قديم لا بالماهية ولا بالصفات	قديم بالماهيــة والصفات	قديم بالماهيــة لا بالصفات	قديم بالصفـات لا بالماهية
المسلمون	أرسطو	طاليس	لا أحـــد من العقلاء
النصارى	ثيوفراسط	انكزاغورس	
اليهود	ثيمسطيوس	سقراط	
المجوس .	ابوقليس	الثنويون (من مانوية وديصانية ومرقونية وماهانية)	
	الفارابي		
	ابن سينا		

ولكن مع ذلك حشد الفارابي في صف من يقول بقدم العالم باعتبار ماهيته وباعتبار صفاته .

الدكتور حكمة هاشم

٢٩ ـ الفائق :

ذكره ياقوت في ترجمته ولم أعثر عليه فيما بين يديَّ من مصادر .

٣٠ ـ الفرق :

ذكره ياقوت في ترجمته ولم أعثر عليه ولا عرفت شيئاً عنه .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٣١ ـ الفصل بين الكلام الخاص والعام :

ذكره ياقوت في ترجمته وذكره ابن النديم في الفهرست مرتين ، مرة باسم (الفصل بين الكلام الخاص والكلام العام) ومرة باسم (الفرق بين الكلام الخاص والكلام العام) ولعله هو الكتاب السابق .

٣٢ ـ اللمع :

ذكره في الاجازة وقال : وكتابي اللمع في العربية وإن كان لطيفاً . وقد ذكره ابن النديم في الفهرست والبغدادي في تاريخ بغداد وابن خلكان في الوفيات [١] . وقد نقل عنه السيوطي كثيراً في الأشباه والنظائر [٢] .

(١) الفهرست ١٢٨ ، تاريخ بغداد ١١ / ٣١١ ، الوفيات ٣١٣
(٢) ج ٣ ص ٩٩

ومن الكتاب ثلاث نسخ في خزانة برلين رقمها ٦٤٦٦ / ٦٤٦٨ ونسختان في خزانة أياصوفيا رقمها ٤٥٧٨ / ٤٥٧٩ ونسخة في خزانة علي شهيد باشا رقمها ٢٥٠١ ونسخة في خزانة لاله لي رقمها ٣٤٩١ ونسخة في دار الكتب بالقاهرة [١] وعلى الكتاب شروح كثيرة منها شرح سعيد بن المبارك بن الدهان [٢] ومنه نسخة في خزانة قليج علي باشا رقمها ٩٣٩ ، وشرح عبد الله بن الحسين أبي البقاء العكبري [٣] ومنه نسخة في المتحفة الآسيوية في لينغراد رقمها ٩١٣ وشرح تلميذه عمر بن ثابت الثمانيني ، ومنه نسخة بدار الكتب المصرية .

٣٣ _ ما يحتاج اليه الكاتب من مهموز ومقصور وممدود :

ولعله الرسالة التي نشرها الأستاذ وجيه الكيلاني ضمن المجموعة سنة ١٩٢٤ والتي ذكرناها تحت رقم (١) .

٣٤ _ ما خرج عني من تأييد التذكرة :

قال عنه في الإجازة : وكتاب ما خرج عني من تأييد التذكرة عن الشيخ أبي علي أدام الله عزه . ولم أر من أشار الى هذا الكتاب سوى أن ابن خلكان ذكر له كتاباً اسمه مختار تذكرة أبي علي الفارسي وتهذيبها فلعله هو هذا .

٣٥ _ المحاسن في العربية :

قال عنه في الإجازة وكتابي في المحاسن في العربية وإن كان ما جرى أزال يدي عنه حتى شذ عنها ومقداره ٦٠٠ ورقة . وقد ذكره السيوطي في

(١) فهرس الدار ٢ / ١٥٥

(٢) هو الإمام اللغوي الأديب البغدادي المشهور (– ٥٦٩) وله كتب جليلة منها (العروض) و (سرقات المتنبي) و (زهر الرياض) في سبع مجلدات و (الغرة في شرح لمع ابن جني) . انظر تعريف الخلف ٢ / ١٥٣

(٣) هو العالم الأديب الفقيه المفسر الحيسوب العراقي (– ٦١٦) وله كتب عديدة أجلها (إعراب القرآن) انظر ترجمته في نكت الهميان ص ١٧٨ ووفيات ابن خلكان ، وبغية الوعاة للسيوطي .

البغية وسماه المحاسن العربية وذكره طاش كبري زاده وسماه محاسن العربية ولم أعثر عليه فيما بين يدي من مصادر .

٣٦ ـ المحتسب في القراءات الشاذة :

لم يذكره ابن جني في إجازته وإنما ذكره ياقوت في ترجمته ، وكتب عنه المرحوم أستاذنا المستشرق برجستراسر (G. Bergstræsser) مقالة في مجلة المجمع العلمي في بافاريا (Bayer A. W. 1933) [١] وهو في هذه المقالة يذكر أن أكثر هذا الكتاب مأخوذ من كتاب ابن مجاهد [٢] في الشواذ مع بعض زيادات وأن ابن جني ألف كتابه سنة ٣٨٤ أي بعد وفاة ابن مجاهد بمدة . فلا شك في أنه نقل منه . ومن الكتاب نسخة في مكتبة راغب أفندي في استامبول رقمها ١٣٠ ، ونسخة في مكتبة بانكي بور رقمها ١٢١٣ ونسخة في دار الكتب المصرية رقمها ٧٨ قراءات . وقيل لي إن في مكتبة الحرم المكي نسخة بقطع كبير .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٣٧ ـ مختار الأراجيز :

ذكره ياقوت في ترجمته وذكره بروكلمان في كتبه المفقودة ولم أعثر عليه ولا رأيت من أشار اليه من المتأخرين .

٣٨ ـ مختصر العروض والقوافي :

ذكره في الاجازة وذكره ابن النديم في الفهرست وقال ابن خلكان في الوفيات

---

(١) انظر مجلة المستشرقين الألمان (ZDMG) 1901, 210 .

(٢) هو الإمام أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس القاريء البغدادي المشهور (ـ ٣٢٤) ، ألف عدة كتب في قراءات القرآن منها (كتاب القراءات الكبير) و (قراءة ابن كثير) و (قراءة أبي عمرو بن العلاء) و (قراءة عاصم) و (قراءة نافع) و (قراءة حمزة) و (قراء الكسائي) و (قراءة النبي ﷺ) ، وله (القراءات الشاذة) انظر الفهرست لابن النديم ١ / ٣١

حين عدد كتبه : ومختصر في العروض ، ومختصر في القوافي ، ولعل كلام ابن خلكان هو الصواب فإن في خزانة برلين كتاباً له في العروض رقمه ٧١٠٨ ومنه نسخة في فينا : ٢٢٢ ، ونسخة في لاله‌لي : ١٩٨٣ . ومن مختصره في القوافي نسخة في الاسكوريال رقمها ٤٤٢ . وأخرى في لاله‌لي رقمها ٣٧٤٠ .

٣٩ ــ مدد الأصوات :

لم يذكره في الاجازة بل ذكره ياقوت في ترجمته وقال عنه : هو رسالة في مدد الأصوات ومقادير المدات كتبها الى أبي اسحق ابراهيم بن أحمد الطبري مقدارها ست عشرة ورقة بخط ولده عالٍ ولم يذكره بروكلمان في الكتب المفقودة ولا عثرت عليه فيما عندي من المصادر .

٤٠ ــ المذكر والمؤنث :

لم يذكره في الاجازة بل ذكره ياقوت في ترجمته وقد طبع بعناية الأستاذ المستشرق (ريشر Rescher) في المجلة (M. O.) ج ٨ من ص١٩٣ الى ص ٢٠٢

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٤١ ــ شرح المذكر والمؤنث ليعقوب :

ألف يعقوب بن اسحق السكيت كتاباً جليلاً في (المذكر والمؤنث) وقد اهتم به العلماء منذ عهد بعيد فشرحوه وعكفوا عليه ومنهم ابن جني وقد ذكره في الاجازة فقال : « وما بدأت بعمله من كتاب تفسير المذكر والمؤنث ليعقوب أيضاً أعان الله على إتمامه » ولم أجد من ذكره له في كتبه ويظهر أنه لم يتمه أو أنه قد تم ولكنه فقد .

٤٢ ــ المذكرات :

هي مذكرات عن حدود ومعاني وفوائد كتبها أبو الفتح عن الإمام ثعلب

النحوي وهي ضمن المجموعة التي لمحمد بن ابراهيم ابن النحاس الحلبي بهاء الدين (– ٦٩٨) [١] من محفوظات مكتبة الفاتيكان بايطاليا .

٤٣ ــ المعاني المجردة :

ذكره ياقوت في ترجمته ولم أعثر عليه فيما لدي من مظان .

٤٤ ــ المغرب :

لم يذكره في الاجازة وإنما ذكره ياقوت وقال عنه (كتاب المغرب في شرح القوافي) . ونقل عنه البغدادي وابن سيده في المخصص وذكره بروكلمان في كتبه المفقودة وقال : إن لابن جني أيضاً كتاباً ثانياً اسمه المعرب (بالعين) ذكره في الخصائص ١ / ٤٩٢ . قلت : وهذا خطأ من بروكلمان لأنه ليس لابن جني كتاب اسمه (المعرب) وإنما له المغرب في تفسير قوافي أبي الحسن كما ذكر ذلك في الخصائص ١ / ٨٦ ولعل هذا جاء من خطأ ناشري الخصائص في الطبعة الأولى .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٤٥ ــ المقتضب :

ذكره في الاجازة فقال : « وكتابي في اسم المفعول المعتل العين من الثلاثي على إغرابه في معناه واسمه المقتضب » وذكره ابن خلكان باسم (المقتضب في معتل العين) وذكره الحاج خليفة باسم (المقتضب من كلام العرب في معتل العين) وقد طبعه المستشرق (Pröbster) سنة ١٩٣٠ في ليبزيغ باسم (المقتضب) . وطبع في مصر بعناية المرحوم الأستاذ وجيه فارس الكيلاني ضمن المجموعة التي تحدثنا عنها فيما سلف .

---

(١) يترجم شيخنا محمد راغب الطباخ في تاريخ حلب ٤ / ٥٣٣ ويذكر أنه كان شيخ الديار المصرية في علم اللسان والعربية ، وانه قد تخرج به جماعة من الأئمة وكان من الأذكياء وله خبرة بالمنطق وكتب الخط المنسوب وكان معروفاً بحل المشكلات ، واقتنى كتباً نفيسة . وله ترجمة في بغية الوعاة للسيوطي وفوات الوفيات لابن شاكر .

٤٦ ــ مقدمات أبواب التصريف :

لم يذكره في الاجازة وإنما ذكره ياقوت ، وهو غير التصريف الملوكي في الغالب ولم أعثر عليه فيما بين يدي من مصادر .

٤٧ ــ من نسب الى أمه من الشعراء :

ألف الإمام محمد بن حبيب بن أمية (ــ ٢٤٥)[1] عالم الأنساب المعروف كتاباً عنوانه (من نسب الى أمه من الشعراء) وهو من الكتب الطريفة ، ورواه عنه ابن جني ، وأضاف عليه بعض تعليقات ، ووجدت نسختين بدار الكتب المصرية رقمها ٥٧ ش ، و ١٢٢ مجاميع . ونسخة في مكتبة عارف حكمة بك بالمدينة ، وقد طبع كتاب ابن حبيب مؤخراً .

٤٨ ــ المهذب :

ذكره ابن خلكان في ترجمته ولم أهتد اليه ولا عرفت الموضوع الذي بحثه فيه .

٤٩ ــ النقض على ابن وكيع[2] :

ذكره ياقوت في ترجمته وسماه (النقض على ابن وكيع في شعر المتنبي وتخطئته) ولم أعثر عليه فيما رأيت من فهارس .

٥٠ ــ النوادر :

وسماه في الإجازة (النوادر الممتعة في العربية) وحجمه ألف ورقة وقد شذ أصله عني فان وقعا كلاهما ــ أي النوادر والمحاسن ــ أو شيء منهما فهو لاحق بما أجزت . قلت : ويظهر أن هذين الكتابين قد فقدا أيام محنة ابن جني . وقد ذكره في الخصائص ١/٣٣٦ من الطبعة الأولى . ولم أهتد اليه .

(١) انظر ترجمته وأخباره في بغية الوعاة ٢٩ ومعجم الأدباء لياقوت .

(٢) ألف الإمام الأديب الشاعر أبو محمد الحسن بن علي الضبي التنيسي العراقي المصري (ــ ٣٩٣) كتاباً لطيفاً عدد فيه سرقات أبي الطيب المتنبي وسماه (المنصف) فجاء صاحبنا وانتقده، وخطأه انظر ترجمة ابن وكيع في وفيات ابن خلكان .

٥١ ـ الوقف والابتداء :

ذكره ابن النديم في الفهرست وياقوت في ترجمته ولم أر من أشار الى وجوده أو نقل عنه في المصادر التي عندي ·

* * *

(أما بعد) فهذه فهرست كتب ابن جني وهي شاهدة على علمه وفضله فما أحرانا أن ننصرف إلى إبراز الموجود منها ونشره · وليس هذا الذي رأيناه هو كل ما أراد ابن جني أن يكتبه فقد كان يفكر في تأليف كتب أخرى لو فسح له في الأجل، فقد ذكر في كتابه الخصائص[1] (كتاب القلب والابدال) لابن السكيت وقال إنه يريد أن يضع عليه شرحاً ويظهر أنه لم يفعل أو انه فعل وضاع الكتاب · وقال في سر الصناعة[2] : انه عازم على شرح كتاب الخصائص · وقال فيه أيضاً[3] : انه كان ينوي تأليف كتاب يميز فيه الأفعال المشهورة والواوية واليائية، وقال ياقوت في ترجمته[4] : انه قال « إن وجدت فسحة وأمكن الوقت عملت باذن الله تعالى كتاباً أذكر فيه جميع المعتلات في كلام العرب وأميز ذوات الهمزة من ذوات الواو والياء وأعطي كل جزء منها حظه من القول مستقصى إن شاء » · فهذا يدلك على ما كانت تنطوي عليه نفسه الكبيرة من الإكثار في التأليف لخدمة هذه اللغة وآثارها ·

سر صناعة الإعراب :

عنيت بهذا الكتاب عناية خاصة منذ نيف وعشرة أعوام فحققته ودققت فيه لنشره، وبعثت به الى أستاذي ابراهيم مصطفى ليرى رأيه فيه قبل نشره،

(١) ١ / ٤٨٢ من الطبعة الأولى .
(٢) ص ٦٠٨ من مخطوطتنا .
(٣) ص ٤٨٢ من مخطوطتنا .
(٤) الوفيات طبعة مرجليوث ٧ : ٢٥٦

فاستحسن الذي صنعت ، وأعاده إلي ، ولكن الظروف السياسية التي اضطرتني أن أغادر البلاد منذ عام ١٩٥٠ الى هذه الأيام منعتني من إتمام عملي ، فلم أر بداً من إرساله الى أستاذي المرحوم أحمد أمين ليقوم هو بنشره في (دار التأليف والترجمة والنشر) ولكن وفاته حالت دون ذلك فبقي الكتاب عنده إلى أن قام بعض أهل الفضل بنشره أخيراً ومن بينهم أستاذي ابراهيم مصطفى (١) .

والكتاب من كتب ابن جني الضخمة ، وصفه أبو الفتح في الاجازة التي كتبها للشيخ أبي عبد الله بن نصر فقال : « وكتابي سر الصناعة وهو ستمائة ورقة » وقال في مقدمة هذا الكتاب : « أضع كتاباً يشتمل على جميع أحكام حروف المعجم وأحوال كل حرف منها وكيف مواقعه في كلام العرب وأن أتقصى القول فيه وأشبعه وأؤكده ... وأذكر فيه أحوال هذه الحروف في مخارجها ومدارجها وانقسام أصنافها وأحكام مجهورها ومهموسها وشديدها ورخوها وصحيحها ومعتلها ومنشريها ومكررها ومنحرفها ومستعليها ومنخفضها الى غير ذلك من أجناسها ، وأذكر فرق ما بين الحرف والحركة وأين محل الحركة من الحرف هل هي معه أو قبله أو بعده ، وأذكر أيضاً الحروف التي هي فروع مستحسنة والحروف التي هي فروع مستقبحة ، والحركات التي هي متولدة عن الحركات كتفرع الحروف عن الحروف ، وأذكر ما كان من الحروف في حال سكونه ، له مخرج ما فاذا حركته أقلقته الحركة وأزالته عن محله في حال سكونه وأذكر أيضاً أحوال هذه الحروف في اشكالها والغرض في وضع واضعها وكيف ألفاظها ما دامت أصواتاً متقطعة ثم كيف ألفاظها اذا صارت أسماء معربة ، وما الذي يتوالى فيه اعلالان بعد نقله مما يبقى بعد ذلك من الصحة على قديم حاله وما يمكن تركيبه ومجاورته من هذه الحروف مما لا يمكن وما يحسن وما يقبح فيه ما ذكرنا ، ثم أفرد فيما بعد لكل

(١) طبع الجزء الأول منه في مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر في سبتمبر سنة ١٩٥٤ بتحقيق الأساتذة مصطفى السقا ، ومحمد الزفزاف ، وأستاذنا ابراهيم مصطفى ، وعبد الله الأمين .

حرف منها باباً اغترق فيه ذكر أحواله وتصرفه في الكلام من أصليته وزيادته وصحته وعلته وقلبه الى غيره وقلب غيره اليه ... »

هذه خطبة الكتاب ، وقد فعل ابن جنّي في كتابه ما ذكره في خطبته تماماً فقدم بين يدي الكتاب فصلاً في ستين صحيفة ذكر فيه أحوال الحروف في مخارجها ومدارجها وذكر الحركات وأنواعها ومواضعها ، وذكر الحروف المستحسنة والحروف القبيحة والحركات وأنواعها . وهو فصل جد ممتع بل هو من أمتع ما كتب في هذا الموضوع لعمقه ودقة آرائه ، ثم ابتدأ بباب الهمزة فذكر أنها حرف مجهور وانه يكون في الكلام أصلاً وبدلاً وزائداً وذكر مواضع كل ، وأطال في ذلك وأسهب وفصّل ، ثم انتقل الى حرف الباء فالتاء وهكذا حتى أتى على حروف المعجم كلها ثم ختم الكتاب بفصل في تصريف حروف المعجم واشتقاق أسمائها وعقب على ذلك بفصل عن حروف الحلق وعن حكم اجتماعها في كلمة واحدة وأتم الكتاب بفصل عن فعل الأمر اذا اشتق من حروف المعجم وهو فصل تمرين على معرفة الأحكام الصرفية ، فالكتاب اذن يبحث في علم الأصوات وجرس الحروف وصفاتها بحثاً تعرض له علماء البصرة والكوفة من قبل تعرضاً بسيطاً فجاء هو وتعمق فيه تعمقاً لم يخطر ببال علماء المصرين .

وقد ذكر في مقدمة هذا الكتاب أنه ألفه لرجل ذي مكانة رفيعة في عصره اقترح عليه تأليفه ، ولكن وجدت في طرة النسخة المحفوظة بخزانة شهيد علي باشا في الآستانة (كتاب سر صناعة الإعراب صنعة الشيخ أبي الفتح ... الى أبي بكر عبد الواحد بن عرس بن فهد بن أحمد الأزدي) فعرفت أن ابن جني ألفه لهذا النبيل الازدي الذي ينتسب اليه نسبة الولاء ، وقد كان بنو فهد هؤلاء من سراة الموصليين في القرنين الثالث والرابع [1] .

(١) من هؤلاء رأسهم فهد بن أحمد الأزدي كان من الأعيان النبلاء ذكره ابن الأثير وأثنى عليه وقال انه مات سنة ٢٨٧ ، ومنهم محمد بن سليمان بن فهد كاتب سيف الدولة الحمداني ذكره ابن العديم في زبدة الحلب .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقد ألف ابن جني كتابه هذا قبل كتاب الخصائص ونقل عنه نقولاً كثيرة [١] وهذان الكتابان مما يحق أعظم ما كتب ابن جني في بحوث اللغة وعلم الأصوات فقد كتب كتابه الأول - سر الصناعة - [٢] وبحث فيه عن المفردات العربية وحروفها وعللها وأحكامها في القلب والاعلال والابدال والأصلية والزيادة وما الى ذلك مما سبق بيانه فلما أتم كتابه هذا ألف كتابه الثاني - الخصائص - فذكر فيه خصائص اللغة العربية في الجملة وأسرارها في تراكيبها وعللها وبين فيه « الأدلة على ما أودعته هذه اللغة الشريفة من خصائص الحكمة ونيطت به من علائق الاتقان والصنعة [٣] » .

وقد دفعه إلى تأليف هذين الكتابين ما رآه من اختلاف بين علماء المدرستين الكوفة والبصرة وما أدى اليه هذا الاختلاف من فوضى واضطراب ، فقد رآهم بحثوا في المفردات وألموا بذلك بعض الإلمام كالذي فعله المازني في تصريفه ، أما البحث في العلل وأسرار هذه اللغة فإن أحداً منهم لم يتعرض اليه ولم يفكر في عمل أصول للنحو على مذهب أصول الكلاميين [٤] ، رأى ابن جني ذلك فعزم على أن يسد هذا النقص فألف كتابيه وأبدع فيهما ما شاء له الإبداع ، وبخاصة كتاب (سر الصناعة) حتى إنه هو نفسه كان كثيراً ما يعجب من نفسه كيف استطاعت أن تهتدي الى ما اهتدت اليه ، استمع اليه يقول بعد أن ذكر نكتاً لطيفة في أسرار اسم الموصول : « فاعرف هذه النكت فقد استودعتها

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

---

(١) الخصائص ١ / ٣١

(٢) اسم الكتاب الكامل (سر صناعة الإعراب) ولكن هذه التسمية لا تنطبق تماماً على ما جاء فيه من بحوث فانه لم يتعرض الاعراب إلا عرضاً ، لأن الكتاب خاص ببحث حروف المعجم من الناحية الصوتية والتراكيب اللغوية ، ولو أن المصنف رحمه الله اقتصر فسمى كتابه « سر الصناعة » كما اشتهر عند بعض العلماء لكان أفضل ، ولعل ابن جني كان يرى ان الإعراب اسم يشمل الإعراب وغيره ، وبذلك جوز لنفسه إطلاق هذه التسمية على كتابه الواسع .

(٣) الخصائص ١ / ٢ - ٣

(٤) انظر الخصائص ١ / ٣

ما لا يكاد ينطوي عليه كتاب للغة » [٢] ، وقال في موضع آخر وقد أجاد في البحث عن (ايّا) وأحكامها وأصولها وتصرفها : « ... فهذه أحكام تصريف هذه الكلمة ، ولست أعرف واحداً من أصحابنا خاض فيها الى ههنا أو قارب هذا الموضع بل رأيت أبا علي وقد نشم فيها شيئاً من القول يسيراً لم يستوف في الحال والاطار بهذه الجملة وانه بحمد الله تعالى والاعتراف له الشيخ الفاضل والأستاذ النبيل ولو لم يتضمن هذا الكتاب من الكلام الدقيق غير هذه المسألة لكانت بحمد الله جمالاً ومحسنة حاله » [١] فأنت ترى شدة إعجابه بما اهتدى اليه في كتابه القيم هذا من بحوث . والحق ان كتابي السر والخصائص قد ملئا نكتاً صرفية ولغوية وفيلولوجية ذات خطر . وبخاصة سر الصناعة الذي بحث فيه عن حروف المعجم وترتيبها ، وأسرارها ، ومخارجها ، وتشريح تلك المخارج تشريحاً دقيقاً ، وبين ما يعرض لكل صوت في بنية الكلمة من تغير يؤدي الى الاعلال أو الابدال أو الادغام . وقد لاقى هذا الكتابان ما يستحقان من التقدير فإنك لا تكاد تجد بعدهما كتاباً في القراءات أو التجويد أو البلاغة أو اللغة أو التصريف أو النحو إلا وهو مملوء بالنقول عنهما ويكاد يكون قول ابن جني فيها قولا لا يجادل فيه ، على أن كثيرين من العلماء كانوا يغيرون على كتبه وينقلون منها الفصول ولا يشيرون الى ذلك [٣] .

وكتاب سر الصناعة يدلنا على أشياء أخرى كان يتصف بها مؤلفه ؛ من ذلك خلقه العلمي الشريف فقد كان لا ينقل رأياً لغيره إلا نسبه إليه ولو كان ذلك رأياً تافهاً ، ولنضرب على ذلك مثالاً واحداً فقد ذكر حكماً للفاء وتصرفها في الكلام نقله عن أستاذه أبي علي فقال : « فاعرفه فإنه لطيف وهو رأي أبي علي ومذهبه وعنه علّقت فاكتبه ههنا وإن اختلفت الألفاظ فان المعاني متفقة » [٤] ؛ ومن ذلك

---

(١) سر الصناعة : ٢٨٠ من مخطوطتنا

(٢) سر الصناعة ص ٥٣٥ من مخطوطتنا .

(٣) انظر هامش ص ٣٤٩ و ص ٥٥٩

(٤) ص ٢٠٠ من مخطوطتنا .

ان هذا الكتاب يدلنا على ثقافة واسعة واطلاع كثير على ما ألف الأقدمون في الموضوع فهو يذكر لنا تصريف المازني كثيراً وانه قرأه على أبي علي وأفاد منه فهو معترف شاكر [1] . ويذكر أيضاً أنه قرأ نوادر أبي زيد الأنصاري في اللغة على أبي علي أيضاً [2] . ويذكر أيضاً أنه قرأ كتاب سيبويه عليه [3] وقرأ كتاب ابن السكيت [4] وأفاد من كل أولئك في بحوثه وتكوين آرائه ، فهو لا يفتأ يذكر هذه الكتب ويثني على أصحابها إذا وجدفيها صواباً أو ينقدها إذا وقع على خطأ .

أما أسلوبه في كتابه هذا فهو – كما مرّ – الأسلوب العلمي المتين ؛ يصوغ أفكاره بلغة رفيعة هي أرقى لغة كتب فيها العلم ، ليست كلغة سيبويه في جفافها ؛ ولا هي لغة المازني في اختصارها وإنما هي لغة سهلة رفيعة متبسطة منمقة محببة ، ثم إنه كثيراً ما كان يمزج كتبه – على نمط طريقة الجاحظ – باستطرادات أدبية وتاريخية ذات خطر واليك مثالاً لطيفاً على ذلك : ذكر في ختام فصل كتبه عن المعتلات أن شيخه أبا علي ذكر له أن بعض إخوانه بفارس سأله إملاء شيء من ذلك فأملى منه صدراً كثيراً وتقصى القول فيه وأنه نقده في جملة ما فقده وأصيب به من كتبه وحدثني أبو علي انه وقع حريق بمدينة السلام فذهب به جميع علم البصريين وقال كنت كتبت ذلك كله بخطي فقرأته على أصحابنا فلم أجد من الصندوق الذي احترق شيئاً البتة إلا نصف كتاب الطلاق فسألته عن سلوته وعزائه عن ذلك فنظر إلي متعجباً ثم قال : بقيت شهرين لا أكلم أحداً حزناً وهماً وانحدرت الى البصرة لغلبة الفكر عليّ وأقمت مدة ذاهلاً متحيراً [5] .

هذه طرفة من الطرف الأدبية الممتعة الكثيرة التي تتخلل بحوث التصريف في سر الصناعة . والناحية العظيمة في هذا الكتاب ليست في أسلوبه الأدبي الرفيع

(١) ص ٨٤ و ٢٦٧ من مخطوطتنا .
(٢) ص ٥٦ ، ٢٨٩ ، ٤٣٢ من مخطوطتنا .
(٣) سر الصناعة ص ٤٥٥ من مخطوطتنا .
(٤) ص ٤٣٨ من سر الصناعة .
(٥) ص ٢٨٤ من مخطوطتنا .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولا فيما تضمنه من نكت ذات قيمة في بحوث فقه اللغة وأسراره ، وإنما هي فيما ابتدعه ابن جني من نظريات لم يسبق اليها ، وعدم تقيّده بمذهب (من بصري أو كوفي أو بغدادي) فهو ينتقد الجميع إذا خالفوا الصواب ويقول إن الحق أحق أن يتبع أين حل وحيث صقع .

وما أحب أن أطيل البحث في هذه النقطة فالكتاب بين أيدينا وقد سهل الله نشره ويستطيع المرء أن يقرأ أيّ فصل شاء ليتحقق ما أقوله .

ثم إن ابن جني في آرائه العلمية ونظرياته لا يكتفي بالاعتماد على الكتب والبحوث السابقة والأحكام العقلية فقط بل إنه كان يعتمد على مصدر ذي قيمة في بحوث اللغة ألا وهو مشافهة فصحاء الأعراب ذوي السليقة الصحيحة ، وهو في كتابه هذا وكتبه الأخرى التي رأيناها كثيراً ما يحدثنا عن مشافهاته ومناقشاته لهؤلاء الفصحاء من أعراب البادية ولا نحب أن نطيل في ذكر الشواهد فهي كثيرة في كتبه .

وابن جني أيضاً حينما يرى مسألة من مسائل النحو واللغة تعرض اليها النحاة القدماء ولم يتموها ، يعمد هو اليها فيقتلها بحثاً وتمحيصاً ويتمم ما أهملوه كالذي يحدثنا عما فعله في كلام سيبويه من عدم استعمال العرب لكلمة (وعوث) استثقالاً لاجتماع واوين ، فيجيء ابن جني الى المسألة ويدرسها درساً مفصلاً يقضي على كل وهن تتطرق اليه [(١)] . ويحاول ابن جني أن يظهر في سر الصناعة ـ والخصائص أيضاً ـ بمظهر الفيلسوف الذي يريد أن يجعل للنحو والصرف أصولاً كأصول الكلام وقد أعاد وأبدأ في هذا الأمر كما أشرنا الى هذا سابقاً ؛ فالدليل عنده هو قبل كل شيء ، وإذا وجد الدليل الصحيح صحت المسألة «ألا ترى أن الدلالة إذا قامت على الشيء فسبيله أن يمضي فيه ولا يلتفت الى خلاف ولا وفاق وان سبيلك اذا صحت لك الدلالة أن تتعجب من عدول من عدل عن القول

(١) سر الصناعة ص ٤٧٢ من مخطوطتنا .

به ولا تستوحش أنت من مخالفته إذا ثبتت العدالة بضد مذهبه »[١] فليس شيء أكبر من الدليل الصحيح ولا قيمة لما عداه ولو كان قول سيبويه أو المازني على شدة احترامه لهما وإكباره لآرائهما . ولهذا نجد حملاته قوية على (كتاب العين) وإن كان صاحبه الإمام الخليل لكثرة ما فيه من خطل واضطراب[٢] .

والحق ان ابن جني ـ رحمة الله عليه ـ كان عالماً كل العالم ، ولا يرهب في الحق أحداً ، ولا يخشى في العلم كبيراً ، وهو في القرن الرابع قد بذّ كل من جاء بعده . واننا لا نكاد نعرف إماماً من أئمة العربية في هذا القرن أو القرون التي تلته يشبهه في سعة علمه ، واتساع أفقه ، وبراعة أسلوبه ، وحسن مناقشته ، ولئن سبقه في القرنين الثاني والثالث أئمة من الفحول أمثال الخليل بن أحمد وسيبويه وأبي بكر بن السراج وأبي عثمان المازني وغيرهم فإنه قد كان المجلي عليهم جميعاً في بحوثه التي كانت أساساً لعلوم القراءات والبلاغة والنحو والتصريف واللغة والنقد .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الدكتور محمد أسعد طلس

---

(١) سر الصناعة : ٢٥١ - ٢٥٢ من مخطوطتنا .

(٢) سر الصناعة : ٤٤٩ من مخطوطتنا .

التعريف والنقد

مقدمة ابن خلدون

ابن خلدون أشهر من أن يُعرَّف ، ومقدمته الرائعة الخالدة ، هي التي طيَّرت له هذه الشهرة في الشرق والغرب ، وصيّرته العمدة التي تقصر عنها همم العلماء ، والحجة في صدق النظر ، وصحة الآراء .

وقد رُزقت مقدمته الحظ الذي تستحقه ، فطُبعت في أوربة ، وطبعت في البلاد العربية مرات . كان آخرها طبعة «الكتاب اللبناني» في بيروت سنة ١٩٥٦ . وهي الطبعة التي يتناولها بحثنا هذا [1] .

(١) طُبعت هذه المقدمة — أول ما طبعت — في باريس سنة ١٨٤٧ م . وترجمت الى الفرنسية وطبعت فيها سنة ١٨٦٢ . وطبعت في مصر في مطبعة بولاق سنة ١٢٧٤ هجرية ، ثم طبعت فيها مراراً ، منها في المطبعة الخيرية سنة ١٣٢٢ هـ . وعلى هامشها ترجمة المؤلف . ومنها الطبعة المشكولة شكلاً تاماً ، منقولاً نقلاً حرفياً وشكلياً عن طبعة بيروت المشكولة المطبوعة سنة ١٩٠٠ .

وفي بيروت طبعتها المطبعة الأدبية سنة ١٨٧٩ ، واعادت طبعها سنة ١٨٨٦ . ثم طبعتها ثالثة سنة ١٩٠٠ منقحة مهذبة مجردة من بعض فصولها ، ومن الأزجال والشعر العامي الأندلسي ، ومشكولة بالشكل الكامل . وقد جاء في آخر صفحة من صفحاتها ما يلي :

« لقد تم بحوله تعالى طبع هذا الكتاب طبعة ثالثة في المطبعة الأدبية ، وعلى نفقتها ، نزفُّه الى طلبة اللغة العربية الشريفة ، تحفة كريمة من تحف المتقدمين نهديه المتأخرين مثالاً يقتدى به ، ومنوالاً ينسجون عليه ، وقد عني بشكله جناب الكاتب البليغ رشيد عطية أحد محرري جريدة لسان الحال . ثم نظر فيه وصحح ما أحالته عن أصله أيدي النساخ والطباع ، جناب العالم المدقق واللغوي المحقق عبد الله البستاني متوخياً بذلك خدمة خالصة للعلم والأدب . نسأله تعالى أن يثيبه على هذه الخدمة النافعة ، وينفعنا بمآرنه . . . »

تقع هذه الطبعة في ١٢٤٦ صفحة ، وهي تمتاز بجمال حرفها ، وأناقة طبعها ، وحسن ترتيبها وتبويبها ؛ وبتجنب الشكل الكامل المتعب ، والاكتفاء منه بما فيه بعض الغناء ، ثم بهذه الفهارس المفصلة التي عني بوضعها الأستاذ يوسف أسعد داغر وهي فهرست :

١ — الموضوعات .

٢ — أعلام الرجال والنساء .

٣ — الشعوب والقبائل والدول والأمم التاريخية .

٤ — البلدان والأمكنة الجغرافية .

٥ — الكواكب والنجوم والأبراج الفلكية .

٦ — الحيوان .

٧ — النبات .

٨ — المعادن والجواهر والحجارة الكريمة .

٩ — أسماء الكتب الوارد ذكرها في تضاعيف المقدمة .

١٠ — آي القرآن الكريم .

١١ — مواد الكتاب .

هذه هي ميزات هذه الطبعة ، وأهمها هذه الفهارس . وما عدا ذلك ، فلا تختلف هذه الطبعة عن الطبعات السابقات - ولا سيما طبعة المطبعة الأدبية سنة ١٩٠٠ ، موضوع المقابلة والمقارنة في بحثنا هذا - إلا اختلافاً يسيراً ، أكثره في الحركات اللغوية والنحوية . جاء بعضه مغلوطاً في تلك صحيحاً في هذه ، وجاء بعضه مغلوطاً في هذه صحيحاً في تلك ، وبعضه مغلوطاً في الطبعتين كلتيهما . وهذه أمثلة على ما قدمنا :

١ — في الصفحة الثالثة من الطبعة السابقة :

« وعلى آله وأصحابه الذين لهم في صحبته وأتباعه الأثر البعيد والصيت » .

جعل المصحح « أتباعه » جمع « تَبِع » وعطفها على « آله وأصحابه » على ما بينهما من فصل ، صيّر الجملة قلقة متنافرة ، لا يستسيغها الذوق الأدبي السليم .

أما في الطبعة الجديدة فقد جاءت الجملة : « وعلى آله وأصحابه الذين لهم في محبته واتّباعه » بجعل « اتّباعه » مصدراً ، وعطفها على معطوف عليه قريب هو « محبته » ، وقد تكون « صحبته » على ما جاءت في الطبعة القديمة أولى في المصطلح عليه من « محبته » الواردة في الطبعة الجديدة [1] .

٢ — في الصفحة الـ ٢ من الجديدة :

« وتُضرَبُ فيها الأمثال ، وتُطرف بها الأنديةُ اذا غصّت الاحتفال » .

ببناء « تُطرف » للمعلوم ، وجعل « الأندية » فاعلاً لها .

والطبعة القديمة بنت الفعل للمجهول « تُطرَف » وجعلت « الأندية » نائب فاعل . فوقعت المشاكلة في الصيغة بين « تُطرَف » و « تُضرَب » التي بنيت للمجهول في الطبعتين . وأن يقع الإطراف في الأندية ، على الحقيقة ، أصلح من أن يقع فيها على المجاز .

٣ — وفي الصفحة الـ ٤ من القديمة :

« والناقل إنما هو يُملي وينقُل . والبصيرة تنقد الصحيح إذا تمقَّل . والعلم يجلو لها صفحات القلوب ويصقُل » .

وخطّأت الطبعة الجديدة على غِرار سابقتها بقولها « إذا تمقّل » . وخالفتها في « صفحات القلوب » فجعلتها « صفحات الصواب » .

أما « تمقّل » فما رأيتها في ما رجعت اليه من كتب اللغة ، وليس وزنها « تفعّل » بمتجانس هو و « ينقُل » التي جاءت قبلها ، و « يصقُل » التي جاءت بعدها ، وابن خلدون حريصٌ أحياناً كثيرة على السجع الموزون . وصوابها :

---

(١) نستعمل (الحديثة والجديدة) لطبعة الكتاب سنة ١٩٥٦ ، و (القديمة والأدبية) لطبعة سنة ١٩٠٠ .

و « تَمقُل » [1] أي تنظر . وبذلك تستقيم الكلمة زنةً ومعنىً ، بعد أن تبدَّل (إذا) بـ (إذ) ، فتصبح : إذ تَمقُلُ . . .

وأما « الجلاء » في قوله « والعلم يجلو صفحات القلوب » أو « صفحات الصواب » فقد تكون « الصواب » هنا التي جاءت في الطبعة الجديدة أولى ، إلاّ اذا كان ابن خلدون أراد المشاكلة بين « البصيرة » و « القلوب » .

وفي الجديدة في الكلام عن نكبة البرامكة :

« وقارن ذلك عند مخدومهم [2] نواشئُ الغيرة والاستنكاف من الحجر والأنفة ، وكامن الحقود » كذا ، بإهمال ما يحتاج أكثره الى الشكل ، وإشكال ما أكثره لا يحتاج اليه . وجاءت « الأَنَفَة » مجموعة الى « الحجر » مما يوهم أنها معطوفة عليها ، فيصبح الاستنكاف من الحجر ومن الأنفة ! . وضُبطت « كامنِ الحقود » بالجر . وبهذا تكون دخلت في ما استُنكف منه ، أو أنها عطفت على الغيرة في قوله « نواشئُ الغيرة » وإذا جاز للغيرة أن تنشأ فهل ينشأ كامن الحقد ؟

أما النسخة القديمة فتقول :

« وقارن ذلك عند مخدومهم [2] نواشئَ الغيرةِ والاستنكافِ من الحجر والأنفة وكان الحقودَ . . » كذا بالضبط الكامل ، أشرنا الى ما تدعو الحاجة في الاستشهاد اليه . والخطأ هنا كالخطأ هناك يزيده سوءاً « كان الحقودَ » أوردها المصحح من غير تدبر فجاءت ولا معنى لها .

وقد يكون الصواب :

---

(١) والمقل : النظر . ومقَله بعينه يَمقُله مقْلاً : نظر اليه . قال القطامي :

ولقد يروع قلوبَهن تكلمي ويروعني مقلُ الصوار المرشق

ويروى « مُقَلُ » ومَقْل : حسن لقوله : تكلمي . ويقال ما مقلته عيني منذ اليوم ، وما مقلت عيني مثله أي : ما أبصرت : « اللسان » .

(٢) والمخدوم هو الرشيد . والضمير في مخدومهم يعود الى البرامكة .

« وقارن ذلك عند مخدومهم نواشيُ الغيرة ، والاستنكافُ من الحجز والأنفةُ وكامنُ الحقود » بنصب النواشيْ على أنها مفعول « قارن » والفاعل « ذلك » أو برفعها على أنها فاعل مؤخر . ثم عطف « الاستنكاف » و « الأنفة » و « كامن الحقد » عليها وبذلك تنتظم الجملة ، ويظهر المعنى [١] .

وفي الطبعتين : في سبب إصهار المأمون الى الحسن بن سهل :

« انه عثر في بعض الليالي في بعض تطوافه بسكك بغداد ، في زَنبيل مُدَلّىً من بعض السطوح بمعالقٍ ، وجدَلَ مغارة الفتل من الحرير فاعتقدَه ، وتناول المعالق فاهتزت وذهب به صُعُداً الى منزل شأنه كذا ووصفٍ من زينة فرشه .. »

هذا في الجديدة .

والقديمة لا تختلف عنها إلا بأن جرّت « معالقَ » بالفتحة لمنعها من الصرف ، وجعلت « وصف » فعلاً ماضياً على ما يقتضيه سياق الكلام . وضبطت « الزَّنبيل » بكسر الزاي وهو الصواب . وما بقي فاللفظ واحد ، والضبط واحد .

والجملة مغلوطة وغير مفهومة . وصحتها :

« في زنبيل مدلىً من بعض السطوح بمعالقَ وجُدُلٍ [٢] مُغارةِ الفَتل . . فاقتعده ... » من الاقتعاد ، إذ لا محل هنا للاعتقاد ، الوارد في الطبعتين ، ولا للافتقاد الوارد في الطبعة الأميرية .

---

(١) وصدر هذا الكلام : « وإنما نكَبَ البرامكة ما كان الا من استبدادهم بالدولة » هذا في الجديدة . وفي القديمة : « وانما نكبُ البرامكة ما كان من استبدادهم . . . » والأصوب : وانما نكَبَ البرامكةَ ما كان . . » او « وما نكَبَ البرامكةَ إلا ما كان . . » وبعد أن يعدّد ابن خلدون أفاعيل البرامكة في دولة الرشيد : من دالة عليه .. واستبداد بالأمر دونه ، وتصرّف في أمور الدولة . يقول : « وقارن ذلك عند مخدومهم ... »

(٢) الجُدُل جمع جديل . وهو الحبل المفتول . ومحلها الجر معطوفة على المعالق ، وكذلك مغارة نعت جُدل . والمعنى : ان الزنبيل كان مربوطاً بمعالق وحبال . ولا معنى لجعل « جدَلَ » فعلاً ماضياً .، وليس في ما قبله ما يجيز عطفه عليه .

وفي الطبعتين في الدفاع عن المهدي :

« حتى قبضه الله وليس على شيء من الحظ والمتاع في دنياه . حتى انولد الذي ربما تجنح اليه النفوس وتخادعَ عن تمنيه » .

بعطف « تخادع » الفعل الماضي على « تجنح » الفعل المضارع قبله . ولعل الأصل : « حتى الولد الذي ربما تجنح اليه النفوس ، تخادع عن تمنيه » أي تشاغل عن تمنّيه لزهده ورغبته عن الحظ والمتاع في دنياه .

وفيها : « مقرّباته » بتشديد الراء . وهي بتخفيفها « مُقرَبانه » وهي الخيل ضمّرت للركوب .

وفيها : « فصاحب البدعة لا يُلبِّس في أمره ، ولا يشبّه في بدعته ، ولا يكذّب نفسه فيما ينتحله » .

ولعل الأوجه : « ولا يكذب نفسه في ما ينتحله .. » بتخفيف الذال في « يكذب نفسه » أي لا يخدعها . إذ لا محل هنا للتكذيب ، بعد التلبيس في الأمر ، والتشبيه في البدعة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وفيها في الدفاع عن يحيى بن أكثم :

« ولكنه كانت فيه دُعابة ، وحسن خَلق » والموضع هنا يتطلب « حسن الخُلق » بالضم ، لا « حسن الخَلق » بالفتح .

وفيها :

« وكانت شهادتهم في ذلك على السِماع » بالكسر ، وإنما هي « السَماع » بالفتح .

وفيها :

« ولو حدثوا أنفسهم بمثل هذه الريبة أو قُرعت أسماعهم » ببناء « قُرعت » للمجهول . ولو أنها بنيت للمعلوم ، وعاد الضمير فيها الى الريبة ، لكان أصح ، ولا حاجة للتأويل .

وفيها :

« على ما كان من واضحِ مولاهم » . والصواب « واضحٌ » وهو عبد معروف مصروف ، كان عاملاً للعباسيين ، ثم تشيّع للعلويين .

وفيها :

«ولا يُرجعها الى بحث وتفتيش» ، والأعلى « يَرجعها» من «رَجع» المتعدية بنفسها .

ومثلها فيها : « ولو قالوا انها دُرست في ما دُرس من الآثار » و « دَرست »

و « دَرس » هنا أطبق وأوفق .

وفيها عن الرشيد ويحيى بن أكثم :

« وثُبت أنهما كانا يصليان الصبح » و « ثُبت » بضم الباء معناها « شُجِّع »

وإنما هي « ثبَت » بفتح عين الفعل : أي تحقق وتأكد .

وفيها :

«وماظنك بمايخرج عن الإباحة والحَظَر» بالتحريك ، وهو «الحَظْر» بسكون بعد فتح .

وفيها :

« وانه لكلف بمكانها من معاقرته اياهما الخمرَ » .

ولعل الأصل : « معاقرته واياهما الخمرَ » .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وفيها :

« ... لمكان أبيهم يحيى من كفالة هرون الرشيد : وليَّ عهد ، وخليفةً . حتى شَب في حجره ودرج من عشه ، وغَلَب على أمره . وكان يدعوه يا أبت ... »

والضمير في هذه الافعال كلها : « شَبَّ » و « درج » و « كان » يعود على الرشيد فلا يستقيم معنى « غَلَب » بين هذه الأفعال ، إلا إذا صيغ للمجهول : « غُلِبَ » أو فغُلِبَ على أمره .

وفيها :

« حتى اسجل القضاء ببغداد بنفيهم عن هذا النسب » .

« واسجل تجيء من سجَّل وهي بمعنى أعطى وأرسل وهو هنا بعيد . وأقرب منه أن تكون سجل من السِجلّ وهو الصك . وسجَّل تتعدى بالباء على ما ورد في اللسان « مادة سجل » « سجَّل القاضي لفلان بماله » أي استوثق له به .

هذه الأغلاط وقعت فيها الطبعة الجديدة ثقة منها بالطبعة القديمة واعتماداً عليها من غير تحقيق ولا تدقيق .

وثمة أغلاط انفردت بها الطبعة الجديدة ، منها ما جاء في الصفحة الـ ٤٥ : «ان عوائد كل جيل تابعة لعوائد سلطانه . كما يقال في الأمثال الحكيمة : الناس على دين الملك والسلطان ، اذا استولوا على الدولة والأمر ، فلا بد أن ينزعوا الى عوائد من قبلهم » .

وهي جملة مخرومة لا يستقيم لها معنى الا اذا أعيد إليها ما سقط منها وهو : « وأهل المُلك » فتعود العبارة : « والناس على دين الملِك . وأهل المُلك والسلطان إذا استولوا .. »

وفي الصفحة الـ ٣٦ :

« والناقد البصير قسطاس نظره وميزان بحثه وملتمسه » والأصح ما جاء في الطبعة الأدبية : « والناقد البصير نظره : قسطاس بحثه ، وميزان ملتمسه » .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وفي الصفحة الـ ٧ :

« الدولى الكبَر» وصوابها الدول الكُبَر .

وفي الصفحة الـ ٤٦ :

« وتجنب فيه رخص ابن عباس ، وشدائد ابن عمرو » وانما هو ابن عمر بن الخطاب ، وهو المعروف بالشدة .

وفي الصفحة الـ ١٠ :

« اتحفت بهذه النسخة منه خزائن مولانا ... أمير المؤمنين أبو فارس .. » والصواب هنا « أبي فارس » لأنه غير مشهور بكنيته هذه ، شهرة تجيز بقاء (أبو) على الحكاية . وفي تضاعيف هذه النعوت الطويلة العريضة التي يُغدقها ابن خلدون على أبي فارس هذا ، وكلها في مواضع الجر عطفاً على مولانا أو نعتاً له ، يتوسطها « المتناولُ بالعزم ، القويُّ الساعد والجد ، المؤاتي المساعد .. »

والخطأ هنا في الضبط ، وفي الفاصلة الموضوعة بعد الجد فأحالت المعنى . ومحلها قبله . والصوب : « المتناول بالعزم القويِّ الساعد ، والجَد المؤاتي المساعد » .

وضبطت « الجِد » في الطبعة القديمة بالكسر ، بمعنى الاجتهاد ، وقد يكون « الجَد » بالفتح بمعنى الحظ ، أوجه .

أمّا الطبعة الجديدة فأهملتها بلا ضبط .

وفي الصفحة الـ ٢٣ :

« ووشي بحدث للرشيد فاستُغضب . والصواب « استَغضب » بمعنى « غضب » . وبعدها « فالتفت اليه مُغضِباً » . والأصوب « مغضَباً » فالرشيد في لفتته هذه الى مضحكه ابن صريم لم يُرد إغضابه ، ولكنه هو الذي التفت اليه غاضباً .

وفي الصفحة الـ ٣٧ :

« سد تلك الفَرجة من ناحيتهم » وصوابها هنا « الفُرجة » بالضم .

وفي الصفحة الـ ٤٦ :

« فلما استقر الاٍسلام ووشجت عروق الملّة حتى تناولتها » .

وهذه الجملة لا تستقيم الا بحذف حتى : « فلما استقر الإسلام ووشجت عروق الملّة تناولتها » . أو : فما استقر الإسلام .. حتى تناولتها » .

هذا ما وقع عليه النظر في مقدمة هذه المقدمة . وهي تشغل أربعاً وخمسين صفحة وثمّة أغلاط أظهر من هذه ، ضربنا صفحاً عنها . على أن من الكلمات ولا سيما أسماء الأعلام ، ما كان يحتاج الى ضبط .

وقد نعود فنتتبّع سائر الكتاب لعل في ذلك شيئاً من الخدمة ، ثم ليكون الطابعون أكثر تدقيقاً وعناية بما يطبعون .

عارف النكدي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ديوان ابن أبي حُصَينة (*)

الجزء الأول، حققه محمد أسعد طلس «دكتور في الآداب»
ونشره المجمع العلمي العربي بدمشق سنة ١٣٧٥ هـ = ١٩٥٦ م

- ٢ -

١٦ — وفي ص ٢٣ :

واختصَّني بصنائع مشهورة ... شُكرت له في المحل شكر المُرزِم

فقال الدكتور الناشر الشارح : «المرزم : المصاب بالقحط والشدّة من قولهم: بعير رازم رازح وأمُّ مرزم ريح الشمال الباردة التي تأتي على كل شيء» . وفي هذه الأقوال كلها نظر ، فالمرزم : اسم فاعل أرزم الرعد والرعد يصحب الغيم في العادة هذا من الرباعي ، وأم مِرزَم : ريح الشمال . قال الزمخشري في أساس البلاغة :

«وهبَّت أم مِرزَم وهي الشمال لأنها تأتي بنوء المرزم ومعه المطر والبرد . قال صخر الغي ... تقشّر أعلى أنفه أمُّ مرزم . وقال آخر :

أعددت للمرزم والذراعين ... فرواً عكاظياً وأيَّ خُفَّين ؟

قال : ومن المجاز : أرزم الرعد وأرزمت الريح ... وسماء رَزِمة ومُرزِمة» .

فمعنى البيت إذن أنَّ الممدوح اتقر الشاعر في الإحسان فشكره له كما يشكر الغيم الماطر المُرزِم أو الماطر بنوء المرزم ، في أيام المحل . وقد عاد الشاعر الى هذا المعنى في قوله — كما في ص ١٤٩ — :

سقى العرصاتِ بعدهم مُلِثٌّ ... سِماكي الحَيا أو مرزميّ (١)

وينبغي أن لا يغرب عن البال أنَّ المصاب بالقحط والشدّة لا يشكر في المحل ، فغير ممكن إذن شكر الشاعر لممدوحه صنائعه إليه كشكر المرزم الذي لا شكر له .

(*) انظر القسم الأول من هذا المقال في الصفحة ٥٣٣ من الجزء ٣ من هذه المجلة .

(١) وقد انتبه الشارح ها هنا ، فنقض قوله السابق ونقل بعض ما في أساس البلاغة .

١٧ — وجاء في ص ٢٥ « بمكارم درست مكارمَ حاتَم » بفتح التاء من حاتم والصوابُ كسرها ، قال الفيروزأبادي « والحاتِم : القاضي ... والغراب الأسود وغراب البين ... وابن عبد الله بن سعد الطائي » .

١٨ — وفي ص ٢٦ :

والعيدُ يُعدِم حُجةً وبواجب أن يُحمدَ العيد الذي لم يُعدَم

ببناء « يعدم » الأول للمعلوم وبناء الثاني للمجهول ، هذا إلى قلق في كلمة « حُجّة » فليس المقام مقام احتجاج وإنما هو مقام قصد أي « حجّ » . والثلاثي من « يعدم » أدلّ على المعنى ، والمبني للمعلوم أصرح به ، ومنه المثل « لا تَعدَم الحسناء ذاما » .

١٩ — وجاء في « ص ٢٧ » « مفاوز فيها للتعامُل إعمالُ » وقد صحح الدكتور الفاضل « التعامل » باليعامُل جمع اليعملة في آخر الكتاب ، إلا أنَّه ضمَّ الميم منها والصواب كسرها ، لأن الحرف الرابع من جموع التكسير المعروفة بصيغة منتهى الجموع مكسور دائمًا ، وضمُّه من اللغة العامية .

٢٠ — وجاء في « ص ٤٤ » من الديوان :

ثالم مازرى الأمير وفخر السيـــــف ما في ظباه من ثُلمه

فقال الناشر : « الثالم : السيف المثلم والمثلوم » . وورود « الثالم » بمعنى المثلوم يحتاج إلى شاهد من كلام العرب أو شعرهم أو نصّ من كتاب لغة ، وإلا فهو على أصله أي اسم فاعل من « ثلَم يثلِم ثلمًا » أي كسر الحدّ أو الأعلى ، وعلى هذا يكون البيت :

ثالم مارزا الأمير وفخر السيـــــف ما في ظباه من ثُلَمهْ

بوضع « رزا » مكان « زرى » وهو في الأصل « رزأ » المهموز أي أصابَ ونَقص ، يعني أن حادثًا ثالمًا أصاب الأمير وهو المرض ، وقد رزأه صحته .

٢١ — وفي ص ٩٦ « يأرَجُ في الحزن من حقائبها ما فاح ... » بكسر الراء من « يأرج » والصواب « الفتح » لأنه من باب « فرِح » .

٢٢ — وجاء فيها البيت الرابع من بيوتها مكسوراً شطره الأول وهو :

يقول صحبي وقد كُسِيتْ بالنـــــور غبر الفجاج من أَمَمْ

٢٣ — وجاء فيها «يُفديه في الدهر كل ذي صعر» . بضم الياء من «يفديه» والصواب فتحها لأنه ثلاثي ، وكرّر الخطأ في ضبط «يفدي» في ص ٢٦٩ .

٢٤ — وجاء في «ص ٩٨» :

وانظروا البرق كيف تنزله الجنُ كما تنزِل السُّلافُ الشَّمولُ

والصواب «كيف تبزله ... كما تبزُل» وهو من «بزل الشيء أي ثقبه» ويريد ببزل السُّلاف بزل دنّها ، وقد شبه خروج البرق من السماء بخروج السُّلاف من الدن لما بينهما من اللألاء واللمعان ، قال ابن المعتز :

سعى الى الدنّ بالمبزال يبقره ساق توشح بالمنديل حين وثب

لما وجاها بدت صهباء صافية كأنما قدّ سيراً من أديم ذهب

وقال ابن سكرة الهاشمي العباسي :

ثم وجاها بشبا مبزل فاستلّ منها وتراً مُذهبا

وقال أبو الفرج بن هندو :

وساق تقلّد لما أتى حمائل زق ملاه شمولا

فلله درك من فارس تقلّد سيفاً يقد العقولا

٢٥ — وجاء في «ص ١٠٠» هذا البيت :

بعد أن حطم الرماحَ وردّ الــــبيضَ قد خرّبت ظباها الفلولُ (؟)

ولا حاجة الى الاستفهام فالبيت واضح المعنى متسق المبنى والفلول جمع الفل وهو الثلم .

٢٦ — وجاء في «ص ١٠١» :

من الخليفة أن يراكَ فلا يرى لك في ملوك بني الزمانِ عديلا

مستحقراً لك شهْبَةَ ولو أنهـا شهب النجوم مراكباً وخيولا

فقال الشارح «الشهبة بياض يصدعه سواد توصف به الخيل وعدد الحرب من النصول والسيوف وغيرها من أوائل الحرب الحديدية ولا أدري أي المعنيين من الخيل أو السلاح يُريد شاعرنا ولكن ما جاء في الشطر الثاني يرجح أنه أراد بها الخيل» . قلت : لا حاجة الى هذا الكلام ، والصواب «مستحقراً لك شهبه» جمع الشهباء والأشهب وهي الخيل الشُّهب ، بدلالة قوله «ولو انها شهب النجوم» ومعنى البيت «مستقلاً في تكريمك خيله ولو كانت شُهب النجوم» ، ولما استبهم لفظ «الشهب» ميّزه بقوله «مراكبا وخيولا» .

٢٧ — وجاء في «ص ١٠٣» :

خيل تقاد وجنف قد أوقرت زنة الجبال مُرادفا محمولا

وفي «ص ٢٠٠» صارت «الجنف» خُنُفاً وهي في قوله :

تمشي بها القبُّ العتاق وخُنَّف مثل الأهلة فوقهن قبابُ

وعادت «جنفاً» في «ص ٣٢٤» وهي في قوله :

وترقلت بهم مزمّة مثل الأهلة جنّف خزرُ

ولا شك في أن الصواب «خنّف» جمع خانف وخانفة . قال الجوهري في الصحاح : «ويقال أيضاً : خنف البعير يخنف خنافاً إذا لوى أنفه من الزمام ومنه قول الشاعر أبي وجزة :

قد قلت والعيس النجائب تغتلي بالقوم عاصفة خوانف في البرى

وقال أبو عبيد : يكون الخناف في العنق أن تميله إذا مدّ بزمامها» . فالخانف صفة البعير والخانفة صفة الناقة و«الخنوف» قريب من ذلك ويتميّز بالنشاط .

٢٨ — وفي «ص ٣٠١» : «هي جُنّة نصبت هناك» بضمّ الجيم والصواب فتحها ، ولعل ذلك من غلط المطبعة .

(يتبع) مصطفى جواد

رسالة الغفران

لأبي العلاء المعري

تحقيق الدكتورة بنت الشاطئ

« الطبعة الثانية ، دار المعارف في القاهرة سنة ١٩٥٧ ، في ٦٢٤ صفحة »

ظهرت الطبعة الأولى لهذا الأثر العلائي الهام بتحقيق الدكتورة بنت الشاطئ عام ١٩٥٠ ، وكانت مثلاً طيباً للمنهج العلمي في تحقيق النصوص ونشرها نشراً علمياً محرراً ، فتلقاها المشتغلون بالعربية وآدابها بما هي جديرة به من تقدير ، ومنحها مجمع اللغة العربية بالقاهرة جائزته لتحقيق النصوص في ذلك العام .

وكنتُ كتبت – في تلك الأيام – كلمة أشدت فيها بصنيع المحققة ، وبالجهد الذي تكبدته في ضبط النص وشرحه ، وعرضت فيها لمواضع اتجه لي فيها رأي غير ما رأته المحققة ، وأرسلت الكلمة إلى مجلة « الكتاب » المصرية ، فنشرت في الجزء السادس من المجلد العاشر « حزيران (يونية) ١٩٥١ » ؛ إلا أن مجلة « الكتاب » تصرفت بالمقال ما شاء لها التصرف ، فلم تقنع بأن حذفت شطراً كبيراً منه – بحجة أن حجم المجلة لا يتسع له بأكمله – بل عمدت إلى بعض ما نشر من نقدات ، فبترت منها عبارات ، فانحرفت وجهة الكلام ، وخرج عن معناه المراد ، ثم عرضت – بعد هذا كله – المقال على المحققة ، فذيلته بتعليقات ، أقرت فيها بعض ما أبديت ، ودفعت بعضاً ، وترددت في بعضه الآخر .

ولما ظهرت الطبعة الجديدة للغفران عمدتُ إلى قراءتها ومقارنتها بالطبعة الأولى ، فإذا المحققة عند حسن الظن بها ، فقد خطت – في سبيل استكمال تحقيق النص وشرحه – خطوات فساحا ، غير ضانة عليه بما يتطلبه المنهج العلمي الدقيق من جهد لا يقدره حق قدره إلا من مارس هذا العمل ووقف على صعابه .

وقد كان موقف المحققة مما كنت أبديت من آراء – سواء ما نشر منه في

محلة الكتاب وما لم ينشر – موقف المقدِّر ، فأخذت بالكثير منها ، وترددت في بعضها ، وعزفت عن الأخذ ببعضه الآخر . إلا أنها فيما أخذته ربما انحرفت عبارتها بعض الانحراف فلم يف بالمراد ، أو اقتضبته اقتضاباً لم يخل من زلل ، فأحببت أن أعرض وجهة نظري فيما توقفت فيه على العاملين في هذا المضمار ، ليدلي بوجهة نظره من عنّ له رأي فيه ، عسى أن نصل إلى وجه الصواب في هذا كله . وأضفت إلى هذه النقاط نقاطاً لم أفطن لها فيما مضى ، وهذه هي :

١ – قال أبو العلاء ص ١٢٣ « وإن في طِمريَّ لحضبا . . » وضبطت المحققة همزة (ان) بالفتح ، وقالت في الحاشية ٤ : « قد تقرأ (وإن) بالكسر على الاستئناف ، لكن العطف على معمول (علم الجبر . . الخ) في صدر الرسالة ، أنسب عندي لطول نفس الشيخ » .

وما اختارته المحققة غير جائز في هذا الموضع بله أن يكون راجحاً ، بدليل دخول اللام المؤكد على اسم (إن) المؤخر ، وهذه اللام لا تدخل إلا على ما تأخر من معمولي (إن) المكسورة الهمزة .

٢ – وقال في ص ١٣٠ « . . ودخل – أي القلب – الجدث مع سوادة ابن عدي ، وما ذلك بزول بدي » . وكانت المحققة شرحت (الزول) في طبعتها الأولى ص ١٢ بأنه العجب أو الشخص ، ثم رجحت المعنى الثاني ، قالت : « ولعله أنسب هنا ، والمعنى إن ذلك (القلب) ليس بشخص ظاهر » على حين رجحتُ – في مقالي السابق – المعنى الأول – العجب ، على أن تكون الإشارة إلى (الدخول) المفهوم من قوله : « ودخل الجدث » أي ليس ذلك الدخول بعجيب ، ولكن المحققة دفعت هذا القول ، وعلقت عليه بقولها : « لا وجه للترجيح » ، ثم اكتفت – في طبعتها الثانية – بذكر معنيي الزول ، ولم تستطرد الى ترجيح أحدهما ؛ أو شرح للعبارة .

ويشهد لما اخترتُ من رأي أمران : أحدهما انه نعت (الزول) بـ (بدي) والبدي : العجيب ، أي ليس دخول القلب الجدث بعجب عجاب ؛ وثانيهما

أن أبا العلاء كثيراً ما يستعمل (الزول) بمعنى العجب ، وقد استعملها في هذا المعنى في الغفران غير مرة ، من ذلك قوله ص ٤١٦ : « .. فمن الزول اجتماعها على تأليف كتاب » .

٣ — أورد أبو العلاء ص ١٣٥ بيتين لأبي الهندي وهما :

سيغني أبا الهندي عن وطب سالم أباريق لم يعلق بها وضر الزبدِ
مفدّمة قزا كأنّ رقابَهـا رقاب بنات الماء أفزعها الرعدُ

وقال : « هكذا ينشد على الإقواء » .. ثم قال : « فإن كان أبو الهندي ممن كتب وعرف حروف المعجم فقد أساء في الإقواء ، وإن كان بنى الأبيات على السكون فقد صح قول سعيد بن مسعدة في أن الطويل من الشعر له أربعة أضرب » . وكانت المحققة قد قالت في طبعتها الأولى ص ١٩ بعد أن عددت أضرب الطويل المعروفة « فإن كان البيت على السكون (مفاعلْ) كان الضرب الرابع الذي يشير إليه هنا . » واستدركت على المحققة في هذا الشرح ، فأخذتْ برأيي ـ في طبعتها الثانية ـ إلا أن عبارتها جاءت غير وافية بالتعبير عما أردت ، قالت ص ١٣٦ : « فإذا بني البيت على السكون (فعولانْ) بالتذييل كان الضرب الرابع الذي يشير إليه هنا » . وأصل العبارة كما أوردتها في مقالي : « .. إنما أراد أننا إذا سكنا الروي في أبيات أبي الهندي أصبح ضربهـا (فعولانْ) بالتذييل وهذا هو الضرب الرابع الذي قال به سعيد بن مسعدة » .

(يتبع) راتب النفاخ

آراء وأنباء

المغفور له البطريرك مار افرام برصوم

١٨٨٧ _ ١٩٥٧

وفاة المغفور له البطريرك مار افرام برصوم (*)

طوى الموت ، في الثالث والعشرين من حزيران ١٩٥٧ ، علماً نيراً من أعلام المشرق ، وعالماً محققاً من علماء اللغات ، وعضواً فاضلاً من أعضاء المجمع العلمي العربي ، وحبراً كريماً من أحبار المسيحية ، هو المغفور له العلامة مار أغناطيوس افرام الأول ، بطريرك أنطاكية وسائر المشرق للسريان الأرثوذكس . وافاه الأجل في مدينة حمص ، وكان قد اتخذها مقراً موقتاً للكرسي الأنطاكي ، بعد أن كان مقره في دير الزعفران بالقرب من ماردين (تركية) عصوراً طويلة .

ولد الفقيد في الموصل في ١٥ حزيران سنة ١٨٨٧ ، وبها نشأ وتأدب وأجاد العربية والفرنسية وشدا شيئاً من التركية . فلما قارب العشرين من العمر ، زهد في الدنيا ، وانقطع إلى العبادة ، وانتظم في سلك الكهنوت ، وأقام في دير الزعفران مقر الكرسي الرسولي الأنطاكي للسريان الأرثوذكس آنئذ ، وأتقن هنالك اللغة السريانية كما درس الانكليزية ، ثم انصرف الى تدريس العلوم الدينية وآداب اللغة الفرنسية في مدرسة الدير العالية . وفي عام ١٩١٣ سافر إلى اوربة ، وزار خزائن الكتب في أمهات العواصم الغربية ، فأفاد من زياراته علماً جماً ضمه إلى ماوعاه من مطالعته في مخطوطات خزائن المشرق كديار بكر وماردين والرها ونصيبين وحلب وحمص والقدس ، وضمّن ذلك مؤلفاته الثمينة في التاريخ واللغات .

ثم شخص إلى أوربة بُعَيْد الحرب العالمية الأولى ، ليعرض ما أصاب طائفته من ويلات تلك الحرب وكوارثها ، وكان أحدَ المندوبين الذين مثلوا طوائف الشرق أمام مؤتمر (السلام) المنعقد في فرساي ، وهنالك لقي جلالة الملك فيصل الأول رحمه الله ، وأعانه بمواهبه الخطابية والكتابية باللغة الفرنسية .

(*) لخصنا هذه الترجمة من كلمة ضافية كتبها [illegible] السيد مراد سري .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولما اضطر سريان كيليكية والرها إلى الجلاء عن أوطانهم وقدموا إلى سورية، عني الفقيد بأمرهم، وهيأ لهم ما بدَّل خوفهم أمناً وقلقهم اطمئناناً .

ثم سافر في أواخر العام ١٩٢٧ إلى أوربة وأميركة ، فتفقد شؤون أبناء طائفته، وألقى محاضرات كثيرة في بعض الجامعات عن تاريخ الكنيسة السريانية ، وانتخب عضواً في المعهد العلمي الشرقي بجامعة شيكاغو .

وقد انتُخب الفقيد في مطلع العام ١٩٣٣ عضواً في المجمع العلمي العربي ، وفي ١٢ شباط من السنة نفسها نُصِّب بطريركاً لطائفة السريان الأرثوذكس .

كان الفقيد يحمل طائفة من الأوسمة الرفيعة ، منها وسام الاستحقاق السوري ووشاح الأرز اللبناني .

أتقن الراحل الكريم السريانية والعربية والفرنسية ، وألم بالانكليزية والتركية واليونانية واللاتينية ، وكان متبحراً في التاريخ الكنسي والمدني ، واسع الاطلاع على المخطوطات السريانية والعربية المنبثة في خزائن كتب العالم . وكان إلى ذلك خطيباً مفوّهاً موهوباً طلق اللسان بليغ البيان . ولقد قضى معظم سني حياته في المطالعة والبحث ، وتوفّر على دراسة كل ما يتعلق باللغة السريانية وعلاقتها باللغات السامية الأخرى ، كما انصرف إلى تعمق تاريخ الكنيسة السريانية وآدابها ، وخلَّف كثيراً من المؤلفات ، بعضها مطبوع وجلّها مخطوط . فمن أشهر ما طبع منها :

١ — كتاب (اللؤلؤ المنثور في تاريخ العلوم والآداب السريانية) وقد طبع أولاً في حمص عام ١٩٤٣ ، ثم أعيد طبعه في حلب عام ١٩٥٦ . ويقع هذا الكتاب في ٥٦٠ صفحة ، وهو يضم قدراً وافراً من تاريخ آداب اللغة السريانية في غضون ثمانية عشر قرناً ، ويجلو مبلغ ما أداه السريان من خدمة للثقافة العربية في عهد الأمويين والعباسيين ، بما نقلوا من علوم اليونان ، وبما أسهموا به في توسيع آفاق المعرفة في اللغة العربية .

٢ — كتاب (الألفاظ السريانية في المعاجم العربية)، وهو يشتمل على ألفاظ كثيرة يرى المؤلف أنها مما أخذته العربية عن السريانية. وقد نشرهذا الكتاب تباعاً في مجلتنا، ثم طبع على حدة عام ١٩٥١.

٣ — كتاب (تهذيب الأخلاق) ليحيى بن عدي الفيلسوف السرياني (٨٩٣ — ٩٧٤ م) وقد حققه الفقيد ونشره في مجلة (اللغات السامية وآدابها) التي تصدر بالانكليزية في شيكاغو، عام ١٩٢٨.

٤ — كتاب (حديث الحكمة) للفيلسوف السرياني ابن العبري (١٢٢٦ — ١٢٨٦ م) وقد طبع في حمص عام ١٩٤٠.

٥ — رسالة في (علم النفس الإنسانية) لابن العبري نفسه، نشرها عام ١٩٣٨، وهي غير الرسالة التي نشرها الأب شيخو في مجلة المشرق عام ١٨٩٨.

٦ — تاريخ سرياني مختصر قديم لمؤلف مجهول، يتناول الأحداث المهمة التي وقعت في بلاد الشرق منذ القرن الرابع الميلادي حتى القرن التاسع، وقد نشره الفقيد في باريس عام ١٩٢٠.

هذا إلى جانب كتب ومقالات كثيرة قيمة أخرى نشرت في أزمنة ومجلات مختلفة.

أما ما خلّف الراحل الكريم من مؤلفات لا تزال مخطوطة فكثير مهم، ومنه:

١ — معجم عربي سرياني.

٢ — فهرس المخطوطات السريانية الموجودة في خزائن الكتب في الشرق والغرب، العامة منها والخاصة، وهو من أجلّ مؤلفاته. وبعض هذه المخطوطات التي وصفها في هذا الفهرس أتت عليه عوادي الدهر من بعدُ فتلف ولم يبق منه إلا وصف الفقيد له.

تغمده الله برحمته.

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

جلاء العروس

أو نظرة على قصيدة العروس مرة أخرى

(في الطرائف الأدبية، مطبعة اللجنة، القاهرة سنة ١٩٣٧ م)

١ – اتفق لي نشرها قبل أكثر من ١٥ عاماً بعيد رحلتي، وكنت دللت في مقدمتي على نسختي اسنتبول (بني جامع ونور عثمانيه) وهما اقدم نسخها المعروفة. وسائرها إنما نقلت عنها أو لا تحمل مزية لتأخرها، فليس وراءها كبير طائل.

٢ – إذ تسلمت في ١٣ أغسطس سنة ١٩٥١م الجزء الأول من مجلة المدرسة العالية بكلكتة مايو ١٩٥١م، فرأيت في طليعة القسم العربي مقالة في طبعتي منها، بقلم الفاضل المعصومي [1] حرسه الله، فأعجبني منه حرصه على البحث والتنقيب والنظر والتمحيص، والمجتهد أصاب أو أخطأ لا يحرم ثوابه وإن حرم صوابه. على أن فيما زبر فيه فوائد ثمينة لا يستهان بأمثالها، وكل نفس تجزى بأعمالها.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٣ – وقد كان تجمع عند العاجز طول هذه المدة فوائد يعرف قدرها أمثاله من المغرمين بالعلم الصحيح. وهذا زمانه إذ آن أوانه وجاء إبانه أعرضها في سوق العلم بعد أن ركدت ريحها وبار ربحها فإنا لله...!

٤ – وقبل كل شيء أعرض تصحيحاً فخذ الطرائف بيدك وراجع:

ص ١٠٢ قولي «ان القناص لم يقل غير هذه القصيدة» مبني على التحريف الواقع في نسخة بني جامع كما سيتلو فاشطبه.

ص ١٠٣ «كفى غنى» صوابه (كفى عيباً بن أو لمن) كما في نسخة دار الكتب وهي أقدمها بعد أختيها باستنبول وكما ترى آنفاً فيما أنقله عن ابن المعتز.

«عوجا على الطلل...» والصواب (عوجوا) بصيغة الجمع.

---

(١) وهو غير محمد صغير حسن الأستاذ بجامعة داكة – شرقي باكستان، طبع مجمع دمشق شرح حي بن يقظان من تحقيقه سنة ١٩٥٥ م.

٥ — وأما مزعم الأستاذ جنوحاً إلى ما كتبه مستعربو القرن الماضي من أن صاحبها خالد بن صفوان المنقري الخطيب المعروف بالفصاحة (الغير القنّاص والشاعر) فقد كان العاجز يعرفه مما قرأ عنه في كتاب البيان كما قد اعترف به الأستاذ مما نقله عن تأليفي « سمط اللآلي » في حاشيته ، فلم يكن مما ذهب عليّ علمه ، أو خفي عني شخصه . ولكنني والحمد لله أحمد غِبّ مسراي ونجاح مسعاي .

هذا ، وقد كان صديقي العلاّم سالم الكرنكوي كتب إليّ أنه المنقري الخطيب ، ذهاباً إلى ما تقدّمه به واضعو فهارس خزائن بلاده ، فما زلزل قدمي كما لم يُزعجه [1] ابنُ حميد الكلابزي أو من نقل كلامه على وجه نسخة ليدن .

٦ — ولكنني أخاف الآن أن تكون هناك تصحيفة أخرى قديمة راجت عليهم لم تخطر على بال أحد ، فتناقلها الخلف عن السلف . وهي أنهم لما رأوا خالداً القناص جعلوه « ابن صفوان » فزادوا من عند أنفسهم اللفظين إذ لم يعرفوه وعرفوا المنقريّ بظنٍّ أخطأوا فيه وجه الصواب فوهموا وأوهموا من أتى بعدهم فدلوا بصنيعهم هذا تَجَرُّماً كشفة على مُحيّا حلية الأمر وشوّهوا وجه الحقيقة فالى الله المشتكى .

وهذا ظاهر لمن وقف على المظانّ الخمس الآتية القديمة ، إذ لم تذكر أباه البتّة .

٧ — وقد جمع الأستاذ نُتفاً مبعثرة من هنا وهناك ليعرّف بالمنقري ، ولكنه معرفة غير نكرة . وأزيده الآن بعد ما أتعب جواده وأفرغ مجهوده ، أن له ترجمة ضافية في عشر صفحات كوامل في مختصر تاريخ دمشق الجزء الخامس ص ٥٣ — ٦٣ . فقوله ان « ترجمته لا توجد مستوفاة ولا مستقصاة » بحيث ترى . ومن حفِظ حُجّة على من لم يحفَظ . ولكن الحافظ لم يَدْعُهُ قنّاصاً فلم يكن القَنص مما عرف به ولا كان لسانه كلسان قنّاصنا عاميّة دارجة وهو إمام الفصحاء ومِصْقَع الخطباء . وأما بعض ما نَدّ من اللحن في كلامه فلم يكن

(١) ابراهيم المتوفى سنة ٣١٢ هـ أدرك المازني وأخذ عن المبرّد .

بخطه إلى درجة صاحبنا الذي كان أكبر همه قنصه وبعض ما بلغنا من شعره العامي المُشبَّع بالأوصاف والنعوت فحسب .

وكذلك ما ضبطه واضع فهرست خزانة ديوان الهند (خالد الفيّاض) فإنه غلط فاحش تبع فيه بلديّه المستشرق ووستنفلد الألماني ناشر معجم البلدان على ما سأتلوه عليكم يا سادتي !

وليُعلم أن الجزئين الرابع والسابع من معجم الأدباء منحولان من وضع بعض ورّاقي عصرنا هذا كما يعرفه ويعترف به شُداة عصرنا فكيف بالقرْعى في سورية وغيرها . وقد كتب صديقنا الأستاذ راغب الطباخ في ذلك مقالة في بعض أجزاء مجلة المجمع العلمي العربي وعندي في ذلك حقائق لا تنكر .

وأما وفاة المنقري فما عرفوا سنتها ، وكل ما أتوا به حدْس ورَجْم بالغيب ليس إلاّ ! ولكن مما لا يتطرّق إليه أدنى ريب أنه من رجال القرن الأول عُمّر إلى أن أدرك السفاح المتوفى سنة ١٣٦ هـ .

والصواب في اسم شرح القزويني ثمار الغُروس بالمعجمة يعني ما غرس من الأشجار المثمرة وما للعروس والثمار ؟ . وهو متأخر جداً . والشروح المثبتة تحت الأبيات في النسخ المعروفة أقدم وأجلّ وعليها المعوّل .

وأما غضُّ صاحبنا المرحوم السورتي منها على جاري عادته بأن القصيدة مولّدة وأن كل مولّد لا يساوي شيئاً فانه كما ترى ! «وذاك قضاء في القضاء مَذومُ» . والدارجة وتقييد ما طرأ عليها من التغيّرات بعد انتشار الإسلام وفتوحه إلى يومنا هذا أمرٌ طالما اهتمّ له كبار اللغويين وعلماء اللسان أمثال الكسائي وابن السكيت والطالقاني وأبي بكر الزبيدي والجواليقي وابن برّي والخفاجي إلى غيرهم ، وهو أمر لا يتأتّى دون الوقوف على نثر العامّة ونظمهم . على أن هذه النونية لا نظير لها في صنعة من البديع سمّاها قدامة [1] الترصيع ، أبرّت فيه

(١) نقد الشعر ١٣ ، الصناعتان ٢٩٩ ، العمدة ٢ / ٢٢ ، وكلمتاها في أشعار هذيل .

على شاعرَيْ هذيل: أبي صخر، وأبي المثلّم. وقد صدق الأول «قد استرحت من حيث تعب الكرام»».

٨ — وهذا أوان ما وعدنا به من الإتيان بالمظانّ الخمس التي عرفته فذكرته ونوّهت به ومن حفظ حجة على من لم يحفظ :

(أ) أولهم ابن المعتز المقتول سنة ٢٩٦ هـ، ترجم له في طبقات الشعراء المحدثين (مختصره للمبارك بن أحمد المعروف بابن المستوفي الإربلي نسخة الاسكوريال) وهاك نصّه وفصّه :

أخبار خالد القنّاص . قال مما يُستحسن من شعر خالد القنّاص كلمته التي هي سائرة في الناس عوجوا[1] على طلل (الخمسة الأبيات وهي مما عندنا ١، ٤، ٣، ٥، ١٤، ٣٠) ثم سرد أبياته كلها على هذا النمط وقال في آخرها حتى إذا ثملوا (الثلاثة وهي ٧٣، ٧٤، ٧٦) . وقال زعم مرداس بن محمد ان من رواها ثم لم يقل الشعر فلا ترجُ خيره . قال ابن المعتزّ وأنا أقول أيضاً إن من روى هذه ثم لم يقل الشعر فأبعده الله وأسحقه . قال الناسخ لها: ما قرأت لأحد أبرد منها ولا أشدّ تفاوتاً ولست أدري ما هذا الوصف من ابن المعتزّ مع براعته وتقدّمه ولعله نُحل هذا الكلام والله أعلم .

قال المبارك بن أحمد: صدق والله الناسخ، ليس في هذه القصيدة بيت واحد إلا رديء النظم متباين الوَصف مستكرَه الألفاظ قلق المعاني سيّما مطلعها الى قوله دار لجارية فإنه كثير الحشو قبيح النسج لا طائل تحته اهـ .

(ب) جاء في كتاب بغداد ٦/ ٢٩١ لابن طيفور المتوفى سنة ٢٨٠ هـ وكان أدرك عصر المأمون المتوفى سنة ٢١٨ هـ أخبرني موسى بن عبيد الله التيمي قال

---

(١) فيها عوجوا (وهو الصواب) وفي تحلّق جنّان ونفي لأحزان ومالوا وما عدلوا تبال وسنان ودارت قواقزهم (وهو الصواب وهي القوارير والأقداح أعجميّة). وذلّت غرّتزهم من نشر عيدان . وانظر بعد طبعة ليدن طبعة الأستاذ عبد الستار فراج بمصر .

تذاكروا الشطرنج عند المأمون فتذاكروا قول خالد القنّاص فيها حيث يقول :

أراد بلا ذحل أخٌ لي بوُدّني ويهظم حقّي دون كل ودود (الخمسة) اه

(ج) في الحيوان للجاحظ المصحف السابع (ص ٥٢ من الأولى ومن الثانية ٢٧٦) قال خالد القنّاص في قصيدته تلك المزاوجة والمخمَّسة التي ذكر فيها الصيد فأطنب فيها فقال حين صار الى ذكر الفيل :

ذاك الذي مشفره طويل وهو من الأفيال زنديل [1] اه

(د) ابن رشيق في العمدة (١/١١٨ سنة ١٩٠٧ م) وقد ذكر المسمَّط وعرَّف به قال : وربّما جاءوا بأوله أبياتاً خمسة على شرطهم في الأقسمة وهو المتعارف أو أربعة ثم يأتون بعد ذلك بأربعة أقسمة كما قال خالد القنّاص أنشده الزجّاجي أبو القاسم :

لقد نكرت عيني منازل جيران كأسطار رقٍّ ناهج خَلَق فان (الأربعة)

فجاء بأربعة أبيات كما ترى ثم قال بعدها :

وما نطقت واستعجمت حين كلّمت (الخمسة الأشطار)

وهكذا الى آخرها الخ .

(ه) ياقوت في بلدانه في رسم شِبداز وذكر كسرى وشبديز وصاحبته شيرين وصُورهم في لحف جبل بيستون قال وقد ذكر هذه القصة خالد القنّاص (وفي الطبعة الفيّاض مصحفا) في شعر قاله وهو :

والملك كسرى شهنشاه تقنّصه سهمٌ بريش جناح الموت مقطوبُ

(التسعة) اه

٩ — فهذه العروس اصطادها والتشبّه القنّاص لضراوته بالصيد وعُنوان شبابه إذن ؛ وحلّت له إذ حَرُمت على تميميّة المقري ولم تنفعه خُطبه الطنّانة ولا

---

(١) الفيل العظيم ، فارسيّته ژنده پيل أي الفيل الضخم .

عمرُه الطويل كما قال علقمة الفحل : « وشرخ الشباب عندهنّ عجيبُ »
فلسان حاله تنشد لعنترة متلهّفة :

يا شاة ما قَنَص لمن حلّت له حرُمَتْ عليّ وليتها لم تحْرُم

والعجب أنه مع اعترافه بأن المِنقري غير شاعر نقلاً عن كامل المبرد (ص ٢٥٤) يجتهد هنا في عزو الكلمة إليه ، لقد جئتم شيئاً إدّا .

هذا وظاهرٌ أن القنّاص عاش في القرن الثاني بعد سميّه .

١٠ – ومسك الختام بعد كلّ ما سردناه عليك أن نعيد كلمتنا الأولى مرّةً أخرى أن صاحبنا نكرة إذ لم نعرف عن أوّليته أو أخباره شيئاً يُعتمدُ به فما أصدقها إذن ! هذا والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

ابن أبي حصينة

لا أرى وجهاً لشكل صديقنا أسعد طلس (ابن أبي حُصينة) بالضمّ ، والكلمة كريمة بالفتح في نسخة اسكوريال القديمة ، والبغدادية متأخرة . وذلك ان حصيناً بالضم وبالفتح معروف في أعلام الرجال فالضم على انه مصغر حِصْن المعروف والفتح على أنه صفة ككريم وتأنيثه بالتاء قياسي لا يحتاج فيه الى شاهد . وأما الضمّ فانه لا يتأتى إلا على جهة التصغير وليس ثمة مكبّر على زنة حِصن أو حصنة يكون للنساء حتى يصغّر ويقال فيه حُصينة بالضمّ فلا أرى وجهاً للضمّ البتّة .

وأعلام النساء يكثر فيها الوزنان الفتح والضمّ كلاهما سواسية .

ولا يصعب البحث عن ضبطه أو شكله في الخطوط القديمة أو المصوّرة الموجودة بخزانة المجمع والظاهرية لو نشط بعض الشداة ! !

(كراتشي) عبد العزيز الميمني